جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

وقفات عبد اللّه الطيب النقدية في كتابه " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " مع قدامة بن جعفر عرضاً وتحليلاً وتعقيباً

إعداد

د/ أحمد عبد اللطيف أحمد عبد الرازق

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية ـ محكمة ـ ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

وقفات عبد الله الطيب النقدية في كتابه " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها " مع قدامة بن جعفر عرضًا وتحليلًا وتعقيبًا.

أحمد عبد اللطيف أحمد عبد الرازق

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Ahmedabdelrazek441.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور هذا البحث حول دراسة وقفات عبدالله الطيب النقدية تجاه آراء قدامة بن جعفر في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، حيث تناول الطيب بالنقد والتحليل بعض القضايا التي طرحها قدامة في مجال نقد الشعر، مثل خلط قدامة بين الغريب والحوشي، والخلق والإبداع في الشعر، وتقصيره تجاه أبي تمام، والتناقض في الشعر، وعمود الشعر، كذلك ناقش بعض المفاهيم البلاغية كرفضه تصنيف قدامة للتشبيه كغرض شعري، ونهجه في الوصف الشعري، والتكافؤ، وشملت الدراسة بعض الجوانب الموسيقية والأسلوبية كالتوشيح وحصره في التكرار النغمي، وإغفاله دور القافية في ائتلاف عناصر الشعر، كما تطرقت الدراسة إلى رؤية الطيب لمبالغات قدامة في تحليل الشعر ، مثل تفسير بيت امرئ القيس باستخدام مقارنة النجار والخشب، وحكمه على قصيدة عبيد بن الأبرص، ومبالغته في مدح استخدام الفاء في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي، خلص البحث إلى أن عبدالله الطيب وقدامة بن جعفر يمثلان مدرستين مكتملتين تجمعان بين التحليل المنهجي والإبداع الفني، مما يعكس التنوع والثراء في النقد العربي ، حيث أن أكمل كل منهما الآخر في بعض القضايا لتقديم رؤى نقدية تجمع بين العقل والإبداع، قدم عبدالله الطيب رؤية نقدية متعمقة تجسد فهمًا أصيلًا للشعر العربي معتمدًا على الذوق الأدبي والبصيرة النقدية المتوازنة، وانتقاداته لقدامة تعكس رفضه للجمود العقلي في دراسة النصوص ، وتأكيده على الإبداع في إبراز جماليات الشعر من خلال بعض القضايا التي تناولها.

الكلمات المفتاحية: عبدالله الطيب، قدامة بن جعفر، وقفة، المرشد، نقد الشعر.

Abdullah Al-Tayeb's critical pauses in his book "The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Making" with Qudamah bin Jaafar, presentation... analysis... and commentary.

Ahmed Abdel-latif Ahmed Abdel-razik
Department of Arabic Language in Girga, Al Azhar University, Egypt
Email: Ahmedabdelrazek441.el@azhar.edu.eg

Abstract:
This research revolves around the study of Abdullah Al-Tayeb's critical stances towards Qudamah bin Jaafar's opinions in his book "The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Industry", where Al-Tayeb addressed through criticism and analysis some of the issues raised by Qudamah in the field of poetry criticism, such as Qudamah's mixing of the strange and the wild, creation and creativity in poetry, his shortcomings towards Abu Tammam, contradiction in poetry, and the column of poetry. He also discussed some rhetorical concepts such as his rejection of Qudamah's classification of simile as a poetic purpose, his approach to poetic description, and equivalence. The study included some musical and stylistic aspects such as the decoration and its confinement to melodic repetition, and his neglect of the role of rhyme in the coalition of the elements of poetry. The study also addressed Al-Tayeb's vision of Qudamah's exaggerations in analyzing poetry, such as interpreting the verse of Imru' Al-Qais using the comparison of the carpenter and the wood, his judgment on the poem of Ubaid bin Al-Abrash, and his exaggeration in praising the use of the letter Fa in the poem of Abu Dhu'ayb Al-Hudhali. The research concluded that Abdullah Al-Tayeb and Qudamah bin Jaafar represent two complete schools that combine analysis Methodology and artistic creativity, reflecting the diversity and richness of Arab criticism, as each complemented the other in some issues to provide critical visions that combine reason and creativity. Abdullah Al-Tayeb presented an in-depth critical vision that embodies an authentic understanding of Arabic poetry based on literary taste and balanced critical insight. His criticisms of Qudama reflect his rejection of mental stagnation in studying texts, and his emphasis on creativity in highlighting the aesthetics of poetry through some of the issues he addressed.

Keywords: Abdullah Al-Tayeb, Qudama Bin Jaafar, Pause, Guide, Poetry Criticism

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، وأصلي وأسلم على خير البرية، وهادي البشرية سيدنا محمد(ﷺ) أفصح الخلق لسانًا وأبلغهم بيانًا، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين...

وبعد :

النقد الأدبي هو نتيجة لعمليات عقلية تركيبية مبدؤها النظر الدقيق والتأمل العميق للنتاج الأدبي ، وثمرتها التقويم لهذه الأعمال في ضوء أجناسها الأدبية وتطورها العالمي [1]، وانطلاقًا من هذا المفهوم يأتي هذا البحث ليقف عند آراء عبد الله الطيب النقدية حول قدامة بن جعفر كما وردت في كتابه« المرشد إلى فهم أشعار العرب » فهو يعد من أبرز النقاد في التراث العربي وبصمته واضحة في مجال النقد الأدبي وقد حظيت آراء «قدامة بن جعفر» باهتمام النقاد اللاحقين، ومن بينهم «عبدالله الطيب» الذي تناوله بنظرة نقديه، مسلطًا على ما رآه من جوانب إخفاق وقصور في منهجه النقدي، وهذا لا يعني أن «عبد الله الطيب» أغفل مكانة «قدامة بن جعفر» في تاريخ النقد الأدبي، إلا أنه تبنى منهجًا نقدياِ أكثر صرامة، وهذا ما جعله يختلف بشكل جذري عن رؤية بدوي طبانة وغيره من النقاد... في بعض القضايا، من هنا جاءت الدراسة تحت عنوان « وقفات عبدالله الطيب النقدية في كتابه" المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" مع قدامة بن جعفر عرضًا وتحليلاً وتعقيبًا » وقد اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب أبرزها:

(١) ينظر: النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص ٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٧م.

- أهمية كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب في إعادة قراءة التراث النقدي العربي وتحليله، حيث جمع بين التحليل العميق للنصوص الشعرية، والنقد المنهجي لآراء النقاد السابقين، ومن بينهم قدامة بن جعفر.
- الوقوف على منهج عبد الله الطيب في نقده لآراء قدامة بن جعفر، في كونه يجمع بين احترام التراث والانفتاح على تجديده، مع الاستعانة بآراء بدوي طبانة في بعض القضايا لتعزيز فهم موقف قدامة.
- إثبات رؤية نقدية من خلال المقارنة بين آراء " قدامة بن جعفر" من النقاد القدامى و" عبدالله الطيب" من المحدثين في بعض القضايا التي لم يتطرق إليها أحد من الباحثين – فيما أعلم – بحيث تكون لها دور كبير في سد النقص في هذا الجانب.

وأما منهج الدراسة فهو كالتالي :

- وقفت على آراء عبدالله الطيب لقدامة بن جعفر في القضايا التي تعرض لها.
- عرض وتحليل آراء عبد الله الطيب حول نقد قدامة بن جعفر عرضًا وتحليلاً يتسم بالدقة، والتروي من الناحية الموضوعية بين الطرفين.
- الاستعانة بآراء د/ بدوي طبانة، ود/ محمد مندور، و د/ إحسان عباس، ود/ محمد أحمد العزب ... في بعض المواضع لإثراء النقاش وتقديم صورة أكثر شمولية.
- خّرَّجت النصوص المنقولة من كتاب قدامة بن جعفر" نقد الشعر" بالإضافة إلى النصوص التي نقلها من الدواوين والكتب الأخرى.
- ومنهج البحث قائم على المنهج الوصفي التحليلي، لعرض الظاهرة ثم وصفها وتحليلها، ثم التعليق عليها.

الدراسات السابقة:

لاشك أن كتاب "المرشد إلى فهم أشعار العرب" لعبد الله الطيب تناوله الكثير من النقاد والباحثين، بالنقد والتحليل ولا –أعلم أحدًا– تناول هذه الفكرة وهي الوقوف على آراء عبد الله الطيب النقدية حول قدامة بن جعفر كما وردت في« المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها »، ومن الموضوعات التي لا علاقة لها بالفكرة المطروحة.

- رسالة دكتوراه بعنوان(عبدالله الطيب المجذوب ناقدًا) للباحث يوسف عبداللطيف محمد ناصر، كلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ٢٠١٩ ، تعرض فيها الباحث لكثير من نقد عبدالله الطيب للشخصيات مثل نقده لنقد ابن قتيبة، وابن رشيق، وابن الأثير، وطه حسين، ولم يتعرض نهائيًا لقدامة بن جعفر – موضوع الدراسة–
- البحث البديعي في كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالله الطيب المجذوب (دراسة تحليلية تقويمية) رسالة ماجستير للباحث : سعد بخت عمران العوفي ، جامعة أم القرى سنة ٢٠٠٩م
- المتلقي عند عبدالله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لمحمد موسى البلولة الزين، بحث بمجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، عدد ٤٢ سنة ٢٠١٧م،
- الألوان البديعية من خلال كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالله الطيب المجذوب للباحثة مريم مصطفى عثمان، رسالة دكتوراه جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠٠٧م،
- وبحث بعنوان: نفس الشاعر الدلالة والمقصد عند عبدالله الطيب في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها لمحمد موسى البلونة الزين، بمجلة العلوم الشرعية واللغة العربية/ مجلد٥ عدد١ سنة ٢٠٢٠م.....وغير ذلك من الموضوعات التي لا علاقة لها بالفكرة المطروحة.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع على النحو التالي:

- **المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطة الدراسة.**
- **التمهيد:** عرض مختصر للشخصيات المحورية وكتبهم محل الدراسة.

ويشتمل على شقين:

أ . **الشق الأول:** قدامة بن جعفر وكتابه« نقد الشعر ».

ب . **الشق الثاني:** عبدالله الطيب وكتابه« المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها».

- **المبحث الأول:** وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم النقدية عند قدامة بن جعفر.
- **المبحث الثاني:** وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم البلاغية والأساليب الفنية عند قدامة بن جعفر.
- **المبحث الثالث:** وقفات عبدالله الطيب للجوانب الأسلوبية والموسيقية عند قدامة بن جعفر.
- **المبحث الرابع:** وقفات عبدالله الطيب لتطبيقات قدامة بن جعفر في تحليل النصوص الشعرية.
- **الخاتمة:** ذكرت فيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة، ثم التوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

عرض مختصر للشخصيات المحورية وكتبهم محل الدراسة

أ . الشق الأول: قدامة بن جعفر وكتابه « نقد الشعر »

قدامة بن جعفر: أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ،كان نصرانيا واسلم على يد المكتفي بالله، وكان موصوفًا بمعرفة عِلْم المنطق [١]، وقيل أيضًا إنه برع في صناعتي البلاغة والحساب، وقرأ صدرًا صالحًا من المنطق، وهو لائح على ديباجة تصانيفه وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر [٢]

أما عن حياته: يقول عنها د/ بدوي طبانة« فإن حياته خفية شديدة الخفاء، والمعلومات التي يقدمها لنا الرواة والمؤرخون ضئيلة، لا تكفي لتكون صورة صحيحة واضحة أو قريبة من ذلك عن تلك الحياة، ونجد التشابه الواضح بين كتابات المؤرخين ورجال التراجم وهذا يدعونا إلى الجزم بأنَّ بعضهم أخذ من بعض»[٣] والمعلومات التي قدمها الرواة –أغلبها– ما تم ذكرها في هذه السطور.

مؤلفاته: هي كتاب " الخراج "، وكتاب " نقْد الشِّعْر "، وكتاب " صابون الغَمّ "، وكتاب " السّياسة "، وكتاب " ترياق الفِكْر "، وكتاب " جلاء الحُزْن "، وكتاب " الرّدّ عَلَى ابن المعتزّ "، وكتاب " صناعة الْجَدَل "، وكتاب " نزهة القلب"، وكتاب " الرسالة إلى ابن مقلة "،... وغير ذلك، وكان بغدادياً ذكيا

(١) ينظر: الفهرست لابن النديم ص ٣١٠ تحقيق: إبراهيم رمضان دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ مـ

(٢) ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي ج٥ ص ٢٢٣٦ تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

(٣) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٤٧، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

علّامة. أدرك أبا محمد بْن قُتَيْبة، وثعلبًا، والمبرد، وأبا سَعِيد السُّكَّريّ. وبرع في فنون الأدب وفي الحساب، وغير فن[١].

وفاتــه: اختلفت الآراء، وتعددت الأقوال في هذه الوفاة، ولا تجد رواية تظاهر أخرى، إلا بقدر ما يظاهر النقل والاقتفاء، عند الحموي توفي في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع[٢]، وينقل صاحب الوفيات رأي ابن الجوزي عن ياقوت، ثم ينقل عن " ذيل تاريخ بغداد" لابن النجار أن قدامة توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[٣]

أما عن كتابه نقد الشعر محل القضايا التي تعرض لها عبد الله الطيب في كتابه، فهذا الكتاب يعد من أهم المصادر إليها يرجع في الكشف عن نظرية قدامة في الأدب والبحث في مقاييسه النقدية، تحديد الشعر، ونعت عناصره الأربعة : اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية، وشرح الوجوه التي يتم بها الائتلاف بين تلك العناصر، ليتم للشعر جماله وجودته، والعيوب التي تقعد به عن بلوغ درجة الجمال والكمال[٤] وغير ذلك من الموضوعات والقضايا التي تعرض لها في هذا الكتاب منها البلاغية والأدبية [٥]

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ج٧ ص ١٩٠، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

(٢) ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي ج٥ ص ٢٢٣٦

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي ج ٢٤ ص ١٥٤، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، وينظر: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٨٨، وللمزيد حوله أيضًا راجع صفحات هذا الكتاب

(٤) ينظر: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ١٣٥، ١٣٦.

(٥) راجع: كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر و القضايا التي تعرض لها..

وعن المنهج في كتاب قدامة بن جعفر نقد الشعر نفاجأ بمحاولته تجاوز كل التراث النقدي السابق عليه، وتقريره أن الساحة قبله كانت خالية تمامًا من أي عمل نقدي يخلص جيد الشعر من رديئه، وأنه أقدم على هذه الخطوة التأليفية ليملأ هذا الفرغ الرهيب(١).. يقول قدامة« ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة...»(٢)

ويقول أيضًا د/ محمد مندور عن كتاب قدامة« إن كتاب قدامة لم يؤثر لحسن الحظ تأثيرًا كبيرًا في النقد، وكل ما له من فضل هو وضع عدد من الاصطلاحات وتحديد لعض الظواهر، ومع هذا فالذين أخذوا بأقوال قدامة وتقاسيمه التعليمية الشكلية ليسوا النقاد كالآمدي والجرجاني، وإنما علماء البلاغة في القرون التالية. وإذن فمحاولة قدامة ظلت شكلية عميقة، وهي لم تدخل يومًا ما في تيار النقد العربي. ولئن كان النقاد لم يجهلوه بدليل ورود اسمه غير مرة في كتبهم... »(٣)

الشق الثاني: عبدالله الطيب وكتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب.

عبدالله الطيب: ولد عبدالله الطيب بقرية التميران غرب الدامر في ٢ يونيو ١٩٢١م وتلقى تعليمه بمدارس كسلا والدامر وبربر وكيلة غردون التذكارية بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندن

(١) ينظر: قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ج٢ ص ٩١، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م بدون ذكر المطبعة.

(٢) نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ص١٥، تحقيق : كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٣٩٨/ ١٩٧٨م.

(٣) النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الأدب واللغة د/ محمد مندور ص ٢٧وما بعدها، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، إبريل سنة ١٩٩٦م.

بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية، ونال الدكتوراه من جامعة لندن (soas) سنة ١٩٥٠م.

عمل بالتدريس بأم درمان الأهلية وكلية غوردون التذكارية وجامعة بخت الرضا ، وجامعة الخرطوم وغيرها، تولى عمادة كلية الآداب " ١٩٦١م– ١٩٧٤م، وكان مديرًا لجامعة الخرطوم " ١٩٧٤– ١٩٧٥م، بالإضافة إلى أنه أول مدير لجامعة جوبا" ١٩٧٥– ١٩٧٦م، كما أسس كلية بايرو بكانو " نيجريا" . [١] أثرى مشواره العلمي والثقافي بمجموعة من المؤلفات بمختلف المجالات ففى مجال الشعر صدر له عديد من الدواوين الشعرية منها" أصداء النيل ١٩٥٧م، اللواء الظافر١٩٦٨م، سقط الزند الجديد ١٩٧٦م، أغاني الأصيل ١٩٧٦م ، كما له مجموعة من الكتب منها: سمير التلميذ، من حقيبة الذكريات، من نافذة القطار، الأحاجي السودانية، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مع أبي الطيب ، الطبيعة عند المتنبي ، كلمات من فاس، .....وغير ذلك، وتوج مشواره بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي، وجائزة الشهيد الزبير محمد صالح للإبداع والتميز العلمي. [٢]

(١) ينظر: معجم شخصيات سودانية معاصرة، أحمد محمد شاموق ص ٢٦٧، بيت الثقافة للترجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم سنة ١٩٨٨م.، ينظر: ديوان أصداء النيل، عبدالله الطيب ص ٢٩، وما بعدها، دار بيروت لبنان، الطبعة الثالثة بدون، وراجع: مقال بعنوان: السوداني عبدالله الطيب ..مسيرة بين العلم والتدريس والمؤلفات. لأحمد منصور بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠٢٣م في اليوم السابع، وراجع: عبدالله الطيب شاعر سوداني. ويكيبيديا

(٢) ينظر: مع عبدالله الطيب ، لعبد الله الطيب (الغلاف الخارجي للكتاب) دار الأصالة، السودان الخرطوم، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٤م. راجع: مقال بعنوان: السوداني عبدالله الطيب ..مسيرة بين العلم والتدريس والمؤلفات. لأحمد منصور بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠٢٣م في اليوم السابع

وفاته: ١٩ يوليو ٢٠٠٣م الخرطوم السودان[١]

كتابه محل الدراسة: الكتاب كله مبني على فكرة بسيطة، وهي أن الشعر العربي من حيث الصناعة، يقوم على الأركان الآتية: النظم، والجَرسْ اللفظي، والصياغة، ثم إلقاء الكلام على صور خاصة من الأداء، وفي أساليب ومناهج تمليها عوامل التقاليد والبيئة على مّر الأزمان واختلاف الأمكنة، وتؤثر فيها الأفكار المستحدثة، وما يجري مجراها من دواعي التغير والتجدد. [٢]

يقول عنه د/ طه حسين «هذا كتاب ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع، لا أعرف أن مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث، ولست أقول هذا متكثرًا أو غاليا، أو مؤثرًا إرضاء صاحبه، وإنما أقوله عن ثقة وعن بينة، ويكفي أني لم أكن أعرف الأستاذ المؤلف قبل أن يزورني ذات يوم، ويتحدث إلى في كتابه هذا، ويترك لي أيامًا لأظهر على بعض ما فيه. ثم لم أكد أقرأ منه فصولا، حتى رأيت الرضى عنه، والإعجاب به، يفرضان عليَّ فرضًا، وحتى رأيتني ألح على الأستاذ المؤلف في أن ينشر كتابه، وأن يكون نشره في مصر، وآخذ نفسي بتيسير العسير من أمر هذا النشر. وأشهد لقد كان الأستاذ المؤلف، محتفظًا متحرجًا، يتردد في نشر كتابه حتى أقنعته بذلك بعد إلحاح مني شديد» [٣]

(١) ينظر: عبدالله الطيب شاعر سوداني. ويكيبيديا.

(٢) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب ج١ ص ١٣، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

(٣) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب عبد الله بن الطيب ج١ ص ٧.

✍ المبحث الأول: وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم النقدية عند قدامة بن جعفر

يقوم عبدالله الطيب في هذا المبحث بالنقد لبعض المفاهيم النقدية التي طرحها قدامة بن جعفر في كتابه، مثل خلط قدامة بين الغريب والحوشي، ومفهوم الخلق والإبداع، والتناقض الشعري، وعمود الشعر، وتقصيره تجاه أبي تمام...، مجمل الأمر للمفاهيم التي قدمها قدامة بن جعفر من وجهة نظر عبدالله الطيب فيها قصور ولا تتناسب مع التطورات النقدية الأدبية الحديثة، مما يستدعي إعادة النظر فيها لتوسيعها، وهي كالتالي:

١- وقفة عبدالله الطيب لخلط قدامة بن جعفر بين «الغريب والحُوشِي» في الشعر العربي.

حيث يقول« وقد فرق قدامة بين الغريب والحُوشِي[١] ثم اضطرب في هذا فزعم أن الحوشي مجوز للقدماء من أجل «أن من شعرائهم من كان أعرابيًّا قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب» فتبين من هنا أن الغريب ليس هو الحوشي ولكن الحاجة إلى الاستدلال عليه قد تدعو إلى طلب شعر الأعراب أولى العجرفة وفيه الحوشي مع الغريب »[٢]

عبدالله الطيب في هذا النص يشير إلى أن قدامة بن جعفر حاول أن يفرّق بين مصطلحي « الغريب والحوشي» في الشعر العربي، لكنه وقع في اضطراب وعدم وضوح في تفسير الفرق بينهم بشكل دقيق « فزعم أن الحوشي مجوز للقدماء من أجل أن من شعرائهم من كان أعرابيًّا قد غلبت عليه العجرفة »

(١) الحُوشِيُّ، بالضَّمِّ: الغَامِضُ المُشْكِلُ من الكَلامِ، وغَرِيبهُ ووَحْشِيُّهُ، ويُقَالُ: فلانٌ يَتَتَبَّعُ حُوْشِيَّ الكَلامِ، وعُفْمِيَّ الكلامِ. بمَعْنىً وَاحِدٍ. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج ١٧ ص ١٦٥ مجموعة من المحققين، دار الهداية بدون.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله الطيب ، ج٤ ص ٧٥٣ ، ٧٥٤، وينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر من ص ١٧٢

هنا الطيب يوضح أن قدامة بن جعفر زعم أن الحوشي كان جائزًا لدى الشعراء القدماء بسبب أنَّ بعض هؤلاء الشعراء كانوا أعرابًا وقد غلبت عليهم صفات مثل العجرفة(التفاخر)، وهذا من وجهة نظر عبدالله الطيب تبرير من قدامة باستخدام الألفاظ الوحشية، وأنها جزء من طبيعة الشعراء الأعراب المعروف عنهم التفاخر، لأنه كان يتم الاستشهاد بشعرهم كدليل على أصالة اللغة وثرائها.

وقوله « فتبين من هنا أن الغريب ليس هو الحوشي ولكن الحاجة إلى الاستدلال عليه قد تدعو إلى طلب شعر الأعراب أولى العجرفة وفيه الحوشي مع الغريب » في هذه العبارة يوضح عبدالله الطيب أن "الغريب" ليس نفسه "الحوشي" وقد يستدل على شعر الأعراب من قِبَل النقاد لفهم كلماته الغريبة، مما أدى إلى الخلط بين المصطلحين أحيانًا.

ثم يواصل عبدالله الطيب في نقده لقدامة بن جعفر حول استعمال اللغة الحوشية والغريبة في الشعر« ثم قال – أي قدامة: «ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب والتكلف لما استعمله منه لكن بعادته وعلى سجية لفظه»، ثم زعم أن من الأعراب من يتكلفه، وهذا داخل في ما قدمناه من وفود الأعراب ببضاعة من الغريب وما هو أغرب منه وهو الحوشي يزجونها إلى الأمصار. قال: «فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكلي»[١] وأنشد شيئًا من شعره أوله: [٢]

تـذكرت سلمى وإهلاســها ∴ فلـم أنس والشوق ذو مطرؤة

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص ٧٥٤، ونقد الشعر قدامة بن جعفر من ص ١٧٢، ١٧٣

(٢) لم أجد له ديوان مستقل ، وشعره مقتصر في سياقات نقدية ولغوية في كتب التراث.

والإهلاس نوع من الضحك والمطرؤة من طرأ الشيء أي يجعل الأمر يطرأ على قلبك أي يجعلك تتذكر، وهكذا استعمال هذه الكلمة في الدارجة يقولون طرًا وأطرى » (١)

في هذا النص يأتي عبدالله الطيب بقول قدامة بن جعفر الذي يشير فيه إلى أن الأعراب كانوا يستخدمون الألفاظ الحوشية على سجيتهم وطبيعتهم بدون تكلف منهم، واستدل بشعر أبي حزم غالب بن الحارث العلكي– البيت السابق– حيث يعتبر قدامة بن جعفر أن مثل هذه الألفاظ (إهلاسها– مطرؤة) رغم غرابتها ليست متصنعة، بل تعكس طبيعتهم الأعرابية في التعبير، لكن عبدالله الطيب يعارض هذا الطرح بحجة أن قوله غير دقيق حيث إن من الأعراب من يتكلف استخدام الألفاظ الوحشية خصوصًا عند معاملتهم مع أهل الأمصار لجذب الانتباه إليهم، وأن الكلمات التي استشهد بها على سجية الأعراب (إهلاسها– مطرؤة) تبدو غريبة وغير منسجمة مع الذوق الشعري، وبالتالي فإن عبدالله الطيب هنا يقدم تحليلاً أكثر دقة وواقعية، بينما قدامة بن جعفر يكتفي بأن هذه سجية وطبيعة الأعراب دون مراعاة أثر هذه الكلمات على الذوق الشعري.

ثم يواصل نقداته للبيت التي استشهد به قدامة حيث يقول « وأنشد كلمة لشاعر محدث أنشدها اللغوي ابن الأعرابي جاء فيها: (٢)

حَلَفْتُ بِمَا أَرْقَلتْ نَحْوَهُ ∴ هَمَرْجَلَةً خَلْقُهَا شَيْظَمُ

وَمَا شَبْرَقَتْ من تَنُوفِيّةٍ ∴ بِهَا من وَحَي الْجِنَّ زِيزَيْزَمُ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص ٧٥٤.

(٢) الشاعر لم أجد له ديوان مستقل، لكن الأبيات موجودة في كتب الأدب القديمة مثل كتاب: الصناعتين، لأبي هلال العسكري ص ٢، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام ١٤١٩ هـ. وكذلك ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٧٤، وينظر: المرشد ج٤ ص ٧٥٤.

قال قدامة فبلغني أنه أنشد ابن الأعرابي هذه القصيدة فلما بلغ إلى ههنا قال له ابن الأعرابي إن كنت جادًا فحسبك الله.

الزِيزم بكسر الزاي صوت الجن وأضاف الشاعر قبله زي بكسر وإشباع »[1]

ثم يقول عن اضطرابه في موقفه من الألفاظ الحوشية « ومن اضطراب قدامة في هذا الباب رجوعه عما قد قدمه من أن الحوشي يطلب للحاجة الماسة إلى معرفة الغريب وأنه يجيء بلا تكلف فذكر أن من الأعراب من شعره فظيع التوحيش وأنشد أبياتًا رواها عن ثعلب عن ابن الأعرابي قالها محمد بن علقمة التميمي وقافيتها الخاء: [2]

أفْرَخُ أخَا كَلْبٍ وأفْرِخُ أفْرِخِ[3]

أخطأْتَ وَجْهَ الْحَقِّ فِي التَّطَخْطُخِ[4]

أما وَرَبِّ الرّاقِصَاتِ الزُّمَّخِ[5]

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص ٧٥٤.

(٢) لا يُعرف له ديوان مستقل ، وشعره مقتصر على أبيات قليلة وردت في سياقات لغوية ونقدية.

(٣) أَفْرَخَ الرُّوعُ: سَكَنَ. ينظر: معجم مقاييس اللغة للرازي ج٤ ص ٥٠٠، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) التطخطخ: بالخاء معجمةً: السحاب الأسود. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ج٧ ص ٤٠٥٤، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٥) زمخ: تكبَّر وتاهَ. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي ج١ ص ٤٢٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

يَخْرُجْنَ من بين الْجِبَالِ الشُّمَّخِ[١]
يزُرْنَ بَيْتَ اللهِ عنـد المَصْـرَخِ[٢]
لـتَمْطَخَنَّ بـرِشَاءٍ مِمـطَخِ[٣]
مَـاءً سِوَى مَائِيَ يـا ابْنَ الفَنْشَخِ
أو لَتَـجِيئَنَّ بِـوَشْيٍ بَـخْ بَـخِ
من كَيْـسِ ذِي كَيْسٍ مِنَنٍّ مِنْفَخ
قد ضَمَّـهُ حَـوْلَيْنِ لَـمْ يُسَنَّخِ
ضَـمَّ الصَّمَـاليخِ صِمَاخَ الأصْلَـخِ

وما أرى إلا أنَّ صاحب هذا التوحش قد جاء به يتحف به سامعه الحضري وفيه فكاهة وضحك وجاء بالخاء ليناسب به ابن الفنشخ، وهو كما يظهر لقب ونبز إما كان معروفًا لذلك الرجل أو نبزه به لافتراق ساقيه وهو يمطخ بدلوه من البئر»[٤]

عبدالله الطيب ينتقد قدامة بن جعفر في دفاعه عن الألفاظ الحوشية وأنها تستخدم على سجية وطبيعة الأعراب، ثم يعود وينتقد بعض الأبيات الحوشية

(١) الشمخ: علا وارتفع. ينظر: لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ٣٠، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) المصرخ: المغيث. ينظر: مختار الصحاح، للرازي ص ١٧٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

(٣) مَطَخَ (الماءَ: مَتَخَه من البِئرِ بالدَّلْوِ) مَطْخاً، أَي جَذبَه. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج٧ ص ٣٤٦.

(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص ٧٥٤، ٧٥٥، ونقد الشعر قدامة بن جعفر من ص ١٧٥.

مثل الأبيات التي قالها محمد بن علقمة التميمي، واصفًا إياها بأنها(فظيعة التوحش) حيث رأى عبدالله الطيب أن هذا التناقض يعكس ضعفًا في وجهة نظر قدامة بن جعفر، وأنه لم يستطع الحفاظ على موقفه في تقييم الألفاظ الحوشية، فهو يدافع عن الحوشي في موضع ثم ينتقده في موضع آخر دون أن يضع معيارًا واضحًا لما هو مقبول أو مرفوض.

وفي هذا القول يقدم عبدالله الطيب تفسيرًا مختلفًا ومبتكرًا للأبيات المنسوبة إلى محمد بن علقمة التميمي« وما أرى إلا أن صاحب هذا التوحيش قد جاء به يتحف به سامعه الحضري وفيه فكاهة وضحك وجاء بالخاء ليناسب به ابن الفنشخ وهو كما يظهر لقب ونبز إما كان معروفًا لذلك الرجل أو نبزه به لافتراق ساقيه وهو يمطخ بدلوه من البئر» حيث يرى أن الغرض من هذه الأبيات قد لا يكون جادًا بقدر ما هو فكاهي أو ترفيهي بهدف إضحاك الجمهور الحضري، وربما تكلم على شخص معين يُعرف بـ " ابن الفنشخ" ، وبهذا يبرز عبدالله الطيب أن ألفاظ هذه الأبيات الحوشية جاءت في سياق متكلف والغرض منها الفكاهة، وليس تعبيرًا عن طبيعة الشاعر وسجيته، ورأيه هذا يعكس دقته في تفسير هذه الأبيات، وكأنه يريد أن يقول إن قدامة بن جعفر لم يُوفق في تعامله مع هذه الأبيات.

٢- وقفة عبدالله الطيب لمفهوم الخلق والإبداع في الشعر عند قدامة بن جعفر.

يقول في هذا « ومن النقاد من يمدح الشعر ويحسب بذلك أنه يعرفه كالذي يصنعه كثير من المعاصرين حين يتحدثون عن الشعر أنه خلق وإبداع ....، ثم يضع في الهامش قوله: فكرة الخلق والإبداع فلسفية أصلها من

قدامة وأصل كلام قدامة يوناني مداره على الهيولي والصورة، والفكرة غير مقبولة لا في الإسلام ولا في عرف العربية ... »[١]

عبدالله الطيب في كلامه – السابق– يوجِّه نقدًا إلى بعض النقاد الذين يتناولون الشعر من زاوية فلسفية أكثر منها فنية أو أدبية، ويشير إلى أن هناك من يمدح الشعر، ويظن أن هذا كافٍ لفهمه دون أي تقديم يدلل به على هذا المدح، ثم يركز على فكرة " الخلق والإبداع" وهي فكرة قديمة تعود أصولها إلى النظريات اليونانية، التي تقسم الأشياء" هيولي(الأصل أو المادة) و" الصورة الشكل الذي تتخذه المادة[٢].

وفي موضع آخر يقول يؤكد فكرة الخلق والإبداع عند كلردج في قوله:« الشعر عند كلردج أعم من المنظومة في مدلوله لأنه خلق وإبداع. وذكر كلردج أن كتابة الفيلسوف أفلاطون فيها ما يدل على أن أصنافًا من أرقى الشعر قد تأتي من غير الوزن والخلال التي تميز المنظومة. وذكر غير أفلاطون في غير هذا المجرى ونبه إلى أن الفصل الأول من أشعياء في أسفار العهد القديم من كتابهم المقدس شعر بكل تأكيد ولكن ليس من المعقول أو المقبول أن يقال إن إرب ذلك النبي الأول المباشر كان الإمتاع لا الإبلاغ. قلت وكأن كلردج يخلط ههنا بين الشعر بمعنى الخلق والإبداع والشعر بمعنى التعبير المنفعل العاطفي الطبيعة». [٣]

وعبدالله الطيب يرى أن هذه الفكرة جاءت إلى نقد الشعر العربي عبر قدامة بن جعفر، لكنها لا تتناسب مع طبيعة الشعر العربي ولا مع روح الثقافة الإسلامية،

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٣٢.

(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٥٧، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٣٣٣.

فالشعر العربي عنده ليس مجرد " صناعة" تخضع لمفاهيم فلسفية معقدة، بل هو تعبير عن تجربة إنسانية صادقة، ومعان خصبة نابعة من وجدان الشاعر وبيانه(١)

خلاصة القول: إن عبدالله الطيب يرى أن النقد يجب أن ينبع من فهم حقيقي للشعر العربي، وليس من مفاهيم مستوردة من ثقافات أخرى مثل الفلسفة اليونانية التي اعتمد عليها قدامة بن جعفر، وبالتالي ينتصر للشعر العربي الأصيل، ويرفض أي محاولات لإخضاعه لمفاهيم فلسفية غريبه عنه.

٣- وقفة عبدالله الطيب لتقصير قدامة بن جعفر تجاه أبي تمام.

عبدالله الطيب يقف لقدامة بن جعفر لأنه لم ينصف أبا تمام بالشكل الذي يستحقه، خاصة في جانب المعاني حيث يقول« قال قدامة: «إن المعاني كلها معرضة للشاعر» أي ممكنة. وإن لم يكن قد تعمده، فليس ذلك بعاذره في التقصير الذي قصره في حق أبي تمام»(٢)

عبد الله الطيب في هذه السطور يستشهد بقول قدامة بن جعفر في أن المعاني معروضة لأي شاعر يستطيع أن يتناولها ويستخدمها كيفما شاء، ولذلك يقول د/ العزب فهذه دعوة مفتوحة لتناول كل الكون من خلال الفن.. ليست هناك مناطق محرمة على الفنان بالذات، فقط عليه أن يحس ما يريد أن يقول، ولا عليه بعد ذلك إلا أن يجيد قول ما يريد... ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن قدامة يدعو بهذا إلي قول كل مالا يليق... ولكن ينبغي أن يفهم فحسب أنها دعوة لقول ما تحسه أنت دون تزييف خائف أو متعمد...إذن فقدامة يحرض ليس على التحلل من قيود الالتزام الأخلاقي، ولكنه يحرص فقط على التحرر من

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٣ ص ١٣٢.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص٧٨٤ .وينظر: نقد الشعر ص ١٩

كبول الإلزام الخارجي، وهذا هو الفرق[١]، عبدالله الطيب ينتقد قدامة في هذه الجزئية لأنه يتيح الحرية للشاعر في التعبير عما في نفسه دون تقييد، ولكن عند أبي تمام يرى أنه لم يكن منصفًا في تقييمه، وفي طريقته في التعامل مع شعره خاصة في ناحية المعاني الشعرية في أن أبا تمام اقتبس بعض أفكاره من شعر غيره، وأيضًا تكلفه في طلب القافية...، ومن انتقادات قدامة بن جعفر الذي اعترض عليها عند أبي تمام قوله: «وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الأعشى في هذا المعنى» [٢]

أبى تمام يقول[٣]

أضحَوْا بمستنٍّ سيلِ اللؤمِ وارتفعتْ ∴ أموالهم في هضابِ المطلِ والعللِ

وأعشى باهلة يقول: [٤]

بنــو تيْم قرارةُ كـل لؤمٍ ∴ لكـلِّ مصـبِّ سائلـةٍ قرارُ

قدامة بن جعفر ينتقد أبا تمام هنا لأنه يرى أنه اقتبس هذه الفكرة من الأعشى دون إضافة شيء جديد، أو على الأقل لم يبتعد كثيرًا عن المعنى الذي قدمه الأعشى، فالبيت الذي قاله الأعشى عن بني تميم، وبيت أبي تمام عن بني أسد يعبران عن الفكرة الأساسية ، وهي اللؤم والخسة التي تنطبق على طباع كل من القبيلتين.

(١) ينظر: قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ص ١٢٦

(٢) نقد الشعر ص ٩٦، ٩٧

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج٣ ص ٨٩، تحقيق / محمد عبده عزام، دار المعارف الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧م.

(٤) ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٠٥، تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ.، وينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٩٦

وفي موضع آخر ينتقد قدامة بن جعفر أبي تمام بالتكلف في طلب القافية حيث يقول« التكلف في طلب القافية: أن تكون القافية مستدعاه قد تكلف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت بها، مثل ما قال أبو تمام الطائي: [١]

كالظبيَة الأَدْمَاءِ صافتْ فارتعتْ ∴ زهَرَ العَرَارِ الغضَّ والجَثْجَاثا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث[٢] كبير فائدة، لأنه إنما توصف الظبية إذا قصد لنعتها بأحسن أحوالها بأن يقال: إنها تعطو الشجر، لأنها حينئذ رافعة رأسها، وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها [٣]، كما قال الطرماح: [٤]

مِثْلَ ما عَايَنْتَ مَخْرُوفَة ∴ نصَّها ذاعِرُ رَوْعٍ مُؤامْ

فأما أن ترتعي الجثجاث، فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية من الحسن، لا سيما والجثجاث ليس من المراعي التي توصف بأن أم يرتعى يؤثره الإتيان بالقافية لتكون نظير لأخواتها في السجع »[٥]

يرى قدامة بن جعفر أن أبا تمام أرهق نفسه في اختيار القافية إلى حد أدى إلى الإخلال بجمال المعنى في قوله« فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية» أبو تمام كما يرى قدامة أضاف تفاصيل في وصف الظبية غير ضرورية بأنها ترتعي الجثجات مما أفقدها جمالها الطبيعي المعروفة به وهي الرقة والجمال، فمثل هذا الوصف في رأي قدامة لا يخدم المعنى الشعري، ويجعل البيت يبدو

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج١ص ٣١٢.

(٢) الجَثْجاثُ: شَجر أَصفرُ مُرٌّ طَيِّبُ الرِّيحِ. لسان العرب ابن منظور ج٢ ص ١٢٨

(٣) نقد الشعر ص ٢٢٣، ٢٢٤

(٤) ديوان الطرماح ص ٢٢٩، عني بتحقيقه د/ عزة حسن ، دار الشرق العربي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٢٢٤

متكلفًا بدلاً من أن يكون سلسًا طبيعيًا، واستشهد ببيت الطرماح لبيان الفرق بين الوصف المتكلف عند أبي تمام والوصف الطبيعي عند الطرماح، مشيرًا إلى أن الطرماح استطاع التعبير عن فكرته بدون تكلف أو زوائد تضعف المعنى أو الصورة كما فعل أبي تمام.

ثم يواصل عبدالله الطيب حديثه في الدفاع والثناء على أبي تمام« وعندي أن أمر بديع أبي تمام لم يكن أمركم بالنسبة إلى مسلم وبشار أو بالنسبة إلى القدماء. قد أدرك أبو تمام سر ما ضجر منه النواسي وأصاب جوانب من حل مشكلته وذلك أن القريض ينبغي أن يسار بآخره على ما سار عليه أوله، لين في غير ضعف وهو صفاء الديباجة ونقاؤها وجودتها وشدة في غير عنف وهو بداوتها ومتانة أسرها وجزالتها... وقد أوتي أبو تمام ملكة وعلمًا وفصاحة وذوقًا ناقدًا. وكان ذا فطنة حادة تقهر بوادرها الخصوم. وأدرك بها للشعر في ذات نفسه طبيعة بداوة ليس معدنها هو معدن جلافة الأعراب، ولكنه شيء فكري فني محض »[١]

عبدالله الطيب في هذه الفقرة يثني على أبي تمام بعد أن أهدر حقه قدامة بن جعفر، باعتباره مبدعًا فقد أدرك ما كان يزعج بعض الشعراء مثل النواسي وتمكن من حل هذه المشكلة، ثم يصفه بأنه كان يتمتع بموهبة فطرية وعلم وفصاحة عالية، كما يبرز فطنته الحادة التي مكنته من التغلب على معارضيه، بالإضافة إلى أنه يعتقد أن شعر أبي تمام يحمل طبيعة بدوية لم تكن جافة أو قاسية، بل طبيعة فكرية وفنية خالصة.

باختصار نقدهما لأبي تمام يعكس طبيعة كل منهما، عبدالله الطيب يدافع عن أبي تمام، لأنه يرى فيه شاعرًا مبدعًا جمع بين الفكر والفن، وابتكر معاني

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٤ ص٧٨٤ ، ٧٨٥.

جديدة بأسلوب بدوي راقٍ بعيدًا عن الجفاء، أما قدامة فقد انتقد أبي تمام، لأنه متكلف في المعاني مما أثر على وضوحها.

٤- وقفة عبدالله الطيب لرؤية قدامة بن جعفر حول التناقض في الشعر

عبد الله الطيب في هذه النقطة يناقش نقده لقدامة بن جعفر، ويشير إلى أنه لم يعط الأهمية الكافية لفكرة التناقض الظاهري في الشعر كعنصر من عناصر الجودة أو عيبًا يمكن أن يُحاكِم الشعر بناء عليه، حيث يقول« وقد فطن قدامة إلى أمر الصدق ولكنه آثر أن يتنكب، جعله من الأسس التي يبني عليها مقاله في الجودة. من ذلك دفعه أن يكون التناقض في كلام الشاعر -بأن يقول شيئًا في كلمة وينقضه في كلمة أخرى- عيبًا وضرب لهذا مثلًا قول امرئ القيس: [١] من الطويل

فلَوْ أنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَى معِيشَة ∴ كَفانِي ولم أَطْلُبْ قليلٌ مِنَ المَالِ

ولَكِنَّمَا أَسْعى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ∴ وقَدْ يـُدْرِكُ المجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثالي

فزعم ههنا أنه لا يسعى لأدنى معيشة ولكن سعيه إلى المجد. ثم قال في كلمة أخرى: من الوافر

إذا ما لم تكن إبل فمعزى ∴ كأن قرون جلتها العصي

فتملأ بيتنا أقطًا وسمنا ∴ وحسبك من غنًى شبعٌ وري

فزعم ههنا أن المعزى والأقط والسمن والشبع والري، ذلك حسبه، وهو أدنى معيشة- فقد ناقض نفسه كما ترى وانتصر قدامة لامرئ القيس من جهتين، أولهما إنه لم يناقض نفسه حقًّا، وثانيهما أنه لو فعل فإن ذلك ليس بعيب؛ لأنه جاء بالقولين في كلمتين له، لا في كلمة واحدة. فكأن قدامة ينكر التناقض في

(١) ديوان امرى القيس ص ١٢٩، ضبطه وصححه أ/ مصطفي عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

الكلمة الواحدة، لفساده في المنطق ولاشتماله على عنصر من الكذب. ثم مع هذا يشتم تجويزه الكذب لتجويزه التناقض في كلمتين فأكثر».[١]

عبدالله الطيب في تعليقه على هذا الموضوع يشير إلى أن قدامة بن جعفر لم يُعطِ الأهمية الكافية لفكرة التناقض، أو التناقض الظاهري في الشعر كعنصر من عناصر الجودة أو عيبًا يمكن من خلاله أن يحكم عليه، فهو يرى أن قدامة فطن إلى وجود هذا التناقض في الشعر ولكنه اختار ألا يجعله قاعدة من قواعد تقييم جودة الشعر، وقوله « آثر أن يتنكب جعله من الأسس التي يبني عليها مقاله في الجودة » عبدالله الطيب يرى أن قدامة كان بإمكانه أن يُعطي هذه المسألة أهمية أكبر، وجعلها من الأسس التي يُقيم الشعر بناءً عليها، لكنه " آثر أن يتنكب" أي أن قدامة اختار تجنب[٢] البناء كقاعدة تحليلية تصلح كمعيار مطلق لتقييم جودة الشعر، ولذلك قدامة يقول في كتابه في نقد هذه الأبيات « فإن من عابه، زعم أنه من قبل المناقضة، حيث وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنئ المعيشة، وأطرى في موضع آخر القناعة، وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشبعه وريه.

وإذ قد ذكرت ذلك، فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا الموضع، ليكون في ما أحتج به بعض التطريق لمن يؤثر النظر في هذا العلم إلى التمهر فيه، فأقول: إنه لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حتى تصفحه لم يوجد ناقض معنى بآخر، بل المعنيان في الشعرين متفقان، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر، وليس أحد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض، وذلك أنه قال في أحد المعنيين: فلو أنني أسعى لأدنى معيشة كفاني

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) التنكب: بمعنى التجنب. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى إليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) ج١٠ ص ٦٧٥٤

القليل من المال، وهذا موافق لقوله: "وحسبك من غنىً شبع وري"، لكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء، وهو قوله: لكنني لست أسعى لما يكفيني، ولكن لمجد أؤثله.

فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير في الشعرين متوافقان، والزيادة في الشعر الأول، التي دل بها على بُعد همته، ليست تنتقض واحداً منهما ولا تنسخه.

وأرى أن هذا العائب ظن امرأ القيس قال في أحد الشعرين: إن القليل يكفيه، وفي الآخر: إن القليل لا يكفيه.

وقد ظهر بما قلناه أنَّ هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه ما كان عندي مخطئاً من أجل أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا ينقض بعضه بعضاً، ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة، ولو كان فيه لم يجر مجرى العيب، لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً، بل إنما يراد منه، إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر»[1]

عبدالله الطيب لم يرفض هذا التحليل لقدامة بن جعفر، بل اعترف بأن قدامة بن جعفر من خلال نقده هذا للأبيات فطن إلى أهمية التناقض، لكنه يرى أن قدامة لم يعط هذا العنصر ما يستحقه من التركيز.

فتفسير قدامة بن جعفر للأبيات أنه حاول الدفاع عن امرئ القيس من تهمة التناقض من جهتين:

أولًا: يرى قدامة أن امرأ القيس لم يناقض نفسه فعلًا، فالبيتين يعكسان حالتين مختلفتين، فالشاعر في الأبيات الأولى قد يكون طامحًا إلى المجد، لكنه

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر ص ٢٢ وما بعدها

في الوقت نفسه يملك القدرة على القناعة إذا اقتضت الظروف، وهذا التفسير من قدامة يرفع عن الشاعر تهمة التناقض.

ثانيًا: إذا كان هناك تناقض بين البيتين ، فإن قدامة لا يراه عيبًا، لأنه جاء بين بيتين مختلفين" كلمتين" وليس في نفس العبارة أو الجملة، فقدامة بن جعفر يعتقد أن التناقض داخل البيت الواحد أو الجملة الواحدة يفسد المقصود من قوله، بينما التناقض بين عبارتين مختلفتين يمكن أن يعكس تغيرًا في السياق الذي يقصده الشاعر، وهذا ما عبر عنه عبدالله الطيب بقوله «وانتصر قدامة لامرئ القيس من جهتين، أولهما أنه لم يناقض نفسه حقًّا وثانيهما أنه لو فعل فإن ذلك ليس بعيب؛ لأنه جاء بالقولين في كلمتين له، لا في كلمة واحدة. فكأن قدامة ينكر التناقض في الكلمة الواحدة، لفساده في المنطق ولاشتماله على عنصر من الكذب »[١]، وكأن عبدالله الطيب يوحي من خلال هذا الكلام أن انتصار قدامة بن جعفر لامرئ القيس يراه تحيزًا كبيرًا منه لامرئ القيس، محاولاً تبرير التناقض الظاهر في البيتين بتفسير قد يبدو متكلفًا، لأن قدامة يرفض التناقض في الكلمة الواحدة حيث يراه كذبًا أو خللًا واضحًا في المنطق، ومع ذلك يتسامح إذا كان هذا التناقض في كلمتين أو أكثر، فهذا الأمر يراه عبدالله الطيب موقفًا مزدوجًا، حيث يرى أن التناقض يبقى تناقضًا بغض النظر عن مكانه وهذا يفهم من قول عبدالله الطيب « فكأن قدامة ينكر التناقض في الكلمة الواحدة، لفساده في المنطق ولاشتماله على عنصر من الكذب. ثم مع هذا يشتم تجويزه الكذب لتجويزه التناقض في كلمتين فأكثر »[٢]

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٣٥٩.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٣٥٩.

وفي موضع آخر يعرض قول: محمود عباس العقاد، وهو قوله: [١]

إذا الشمس غابت لا نبالي غيابها ∴ وإن غبت آض العيش وهو كدور

ويعلق على هذا البيت بقوله:« ناقض الشاعر نفسه في كلمة واحدة، وهذا مما لم يجزه قدامة. وقد يعتذر له عاذره بأن هذا إضراب أضرب به عما تقدم- أي أحبك حب الشمس كلا، بل لا نبالي غياب الشمس، وتأمل ضمير الجمع للمتكلم ههنا»[٢] ويقوي هذا الوجه قوله من بعد: [٣]

وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع∴ فيهدأ قلب بالضلال نفور

عبدالله الطيب ينتقد بيت العقاد لأنه يتضمن تناقضًا في المعنى، وفقًا لآراء قدامة بن جعفر يعتبر عيبًا في الشعر، لكن عبدالله الطيب يشير إلى أنه يمكن تبرير هذا التناقض ببلاغة الإضراب[٤]، لكنه يرى أن البيت مازال غير متماسك، خصوصًا مع استخدام ضمير الجمع " لا نبالي" الذي لا يناسب عاطفة الحب الفردي.

ومن هنا نقد عبدالله الطيب يعكس فهمًا عميقًا لطبيعة الشعر وخصائصه، ويتبنى رؤية أكثر شمولًا تسمح بوجود التناقض كجزء من جماليات الشعر، ومع

---

(١) ديوان من دواوين عباس محمود عباس العقاد ص ٧٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة سنة ٢٠١٣م.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٥ ص ٥٢٦

(٣) ديوان من دواوين عباس محمود عباس العقاد ص ٧٢

(٤) الإضراب: يأتي تداركاً لما يرادُ التعبير عنه، مع صحّة إرادة الْمُبْدَلِ منه، لكن المتكلّم أضربَ عنه صارفاً النظر عن الاهتمام به، أو موجّهاً النظر بعنايةٍ إلى الْبَدَل. ينظر: البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ج١ ص ٤٦٨، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

ذلك لا يمكن إغفال أهمية منهج قدامة بن جعفر الذي كان يهدف إلى تقديم أدوات نقدية منطقية ومحدودة في عصره.

٥- وقفة عبدالله الطيب لمصطلح عمود الشعر عند قدامة وغيره من النقاد.

حيث يقول « وأما عمود الشعر التي أشرنا إلى أن الآمدي قد نظر في استعماله إياها إلى قول أبي تمام « وفي كتب القوافي والعماد» فمن العجب الزعم الدائر بيننا الآن إن هذه العبارة كانت اصطلاحًا، ولو كانت اصطلاحًا لكان النقاد قد أفردوا لها بابًا أو فصلًا ولا نجد شيئًا من ذلك عند أحدٍ منهم ، وحسبك شاهدًا عمدة ابن رشيق كتاب قدامة وأبو هلال والمثل السائر، وإنما كان قولهم عمود الشعر كقولهم عمود كذا وكذا يعنون قوامه وما ينبغي أن يعمد إليه فيه وقولنا الصلاة عماد الدين ليس «عماد الدين» فيه اصطلاحًا للصلاة ولما ينبغي أن تكون عليه ولكنه وصف وتمثيل» (١)

في هذا الاقتباس لعبد الله الطيب يقدّم فهمًا أكثر دقة لمصطلح عمود الشعر، ويضعه في سياقه النقدي من خلال الإشارة إلى الأعمال السابقة مثل العمدة لابن رشيق ، وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب أبي هلال العسكري الصناعتين، ويشرح أن مصطلح عمود الشعر يشير إلى جوهر الشعر وأساسياته التي يقوم عليها، مثلما يُقال في سياقات أخرى عمود كذا وكذا ، بمعنى القوام والأساس الذي لا غنى عنه في هذا المجال، فهو ليس مجرد تسمية عابرة بل يعبر عن مجموعة القيم والمبادئ التي تمثل جوهر الشعر العربي.

فقوله:(وحسبك شاهدًا) يشير عبد الله الطيب هنا إلى أهمية الكتب الثلاثة عمدة ابن رشيق كتاب قدمة ، وكتاب أبي هلال في تقديم نظريات حول عمود الشعر، حيث تعتبر هذه الأعمال شهادات مهمة على فهم النقاد القدامى لهذا المصطلح، وقوله:(عمود كذا كذا) يفسر أنَّ تعبير عمود الشعر ليس اصطلاحًا

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ١٩٠، وما بعدها.

مستقلًا أو غامضًا، بل هو تعبير يستخدم لوصف القوام والأساس في أي مجال، فعندما يقولون عمود الشعر، يقصدون به القواعد الرئيسية التي يجب أن يعتمد عليها الشاعر في بناء قصيدته، وقوله « يعنون قوامه وما ينبغي أن يعمد إليه فيه » والقوام هنا يشير إلى الأسس التي تجعل الشعر شعرًا بالمعايير العربية الكلاسيكية مثل: حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني، والوزن والقافية[١]

فعبدالله الطيب بهذا التوجيه يعيد قراءة مفهوم عمود الشعر ويبرز أنه ليس مجرد قواعد شكلية كما قد يفهم من تنظيرات قدامة وأبي هلال، بل هو جوهر الشعر وروحه، وبذلك يقر بأهمية التراث النقدي الذي قدمه هؤلاء النقاد، لكنه يدعو إلى عدم اختزال الشعر في هذه القواعد كإطار مرن يساعد في فهم الشعر وليس قيدًا صارمًا يحكمه.

فكلام عبدالله الطيب قائم على إنكار كون "عمود الشعر" مصطلحًا حتى عند المرزوقي في قوله « ذلك بأن المرزوقي قد جعل لعموده أبوابًا فدل بذلك على أنه وجه يعمد إليه ومقاصد يقصد نحوها، إذ لا يحسن للعمود أن نزعم أن له أبوابًا إلا على هذا المعنى. ومن قال إن العمود يدل على الخيمة والخيمة لها أبواب فقد تكلف. والمرزوقي رحمه الله مما يتكلف، غير أنه لا يبلغ به ذلك هذا الحد»[٢]

ومن هنا يعد نقد عبدالله الطيب في هذه النقطة منصفًا وواقعيًا إلى حد كبير، لأنه يتناول عمود الشعر من زاوية أعمق تركز على الجانب الإبداعي والروح الشعرية التي قد يغفل عنها النقاد، لأنه أعاد توجيه الأنظار إلى ما يجعل الشعر حيًا ومؤثرًا ، ونقده هذا يعبر عن فهم عميق للتراث، والعمل على تطويره

(١) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ج١ ص ٤ ، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف – دار المعارف – الطبعة الرابعة، ١٩٩٢ م

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب عبدالله الطيب ج٤ ص ١٩٢

ليبقى متصلًا بروح العصر، وهذه الرؤية تجعل عبدالله الطيب ليس فقط ناقدًا مدققًا بل أيضًا مُجددًا يحترم التراث ويسعى لتطويره.

٦- وقفة عبدالله الطيب لتعريف قدامة بن جعفر لمفهوم النسيب

في قوله« من قولنا النسيب والطلل. وقد سبق أن فسرنا أن قولنا النسيب[١] نعني به قصد الشعراء إلى إثارة الحنين، فهو على هذا استعمال مجازي من باب إطلاق البعض على الكل»[٢]

يشير عبدالله الطيب إلي تفسير قدامة لمفهوم النسيب، وهو جزء من تعريف قدامة للشعر والغرض منه، حيث أن قدامة يعرف النسيب كجزء من الأغراض الشعرية، ويرى أنه يتعلق بإثارة الحنين والعواطف ، ومع ذلك يوضح عبدالله الطيب أن هذا التفسير قاصر لأنه يستخدم مفهومًا مجازيًا يتمثل في " إطلاق البعض على الكل" بمعنى أن قدامة أخذ جزءًا من مفهوم النسيب" إثارة الحنين" وجعله يشمل الكل ، بينما النسيب أوسع من ذلك.

ويعلق د/ العزب على النسيب عند قدامة في قوله(ولسنا ندري في معظم النقد العربي تلوح هذه الروح المتخاذلة الأسيانة الضارعة في الحب وحدها، مع أن الحب يمكن أن يكون اجتياحا وسطوة وتحديًا لكل الأشياء.. فإن معنى ذلك أننا لم نعد نبالي بغير من نحب، وفي سبيل الظفر بهذا الحب نخوض غمرات بلا حدود. [٣]

فعبدالله الطيب في هذا النقد يعكس منهجه الدقيق في التعامل مع النصوص النقدية القديمة، فهو لا يكتفي بنقل التعريفات كما هي، بل يقوم بتحليلها، والكشف عن جوانب القصور فيها، وتقديم بدائل أكثر شمولًا وعمقًا

(١) أي قدامة راجع : نقد الشعر ص ١٢٣

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب عبدالله الطيب ج٤ ص ٩٤

(٣) ينظر: قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ج ٢ ص ١١٢

✍المبحث الثاني: وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم البلاغية والأساليب الفنية عند قدامة بن جعفر

يطرح المبحث نقد عبدالله الطيب لبعض المفاهيم البلاغية والأساليب الفنية عند قدامة بن جعفر، مثل التشبيه، والوصف الشعري، والتكافؤ... وكيفية تناول قدامة بن جعفر لها، ووجهة نظر عبدالله الطيب عليه.

١- وقفة عبدالله الطيب لتصنيف قدامة للتشبيه كغرض شعري مستقل.

في قوله« وقد جعل قدامة التشبيه[١] من أغراض الشعر. ولا ريب أن الوصف من أغراض الشعر الكبرى، وصلة التشبيه به واضحة»[٢]

قال عبد الله الطيب هذا الكلام باعتبار أن قدامة يناقش في كتابه مسألة التشبيه، ويأتي بالأمثلة من أقوال الشعراء في مختلف التشبيهات يقوم بشرحها وتوضيحها. [٣] وهذا الأمر جعل عبدالله الطيب يقول عنه (وقد جعل قدامة التشبيه من أغراض الشعر) أي أن قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" صنف التشبيه كأحد الأغراض الشعرية يستخدم لتحقيق غرض معين داخل القصيدة، مثل توضيحه للتشبيه في قول أوس بن حجر حيث يقول قدامة بن جعفر« وقد قال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم في الحرب تارة، وهمودها وانقطاعها تارة، بصوت التي تجاهد أمر الولادة: [٤] من المتقارب

لنا صَرْخَةٌ ثم إسكاتَةٌ ∴ كما طَرّقَتْ بِنَفاسٍ بِكِرْ

---

(١) التشبيه: لغة التمثيل، اصطلاحًا: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظًا أو تقديرًا، لغرض يقصده المتكلم. ينظر: المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني- البيان – البديع) تإليف د/ عيسى علي العَاكوب، منشورات جامعة حلب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٥١٣.

(٣) راجع: قول قدامة للتشبيه والأمثلة التي قدمها في كتابه نقد الشعر ص ١٠٨إلي ص ١١٨

(٤) ديوان أوس بن حجر ص ٣١، تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، طبعة ثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ولم يرد المشتبه في هذا الموضع نفس الصوت، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات، وإذا نظر في ذلك وجد السبب الذي وفق بين الصوتين واحداً، وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد في الصرخة» [١]

هكذا كان شرح قدامة للأمثلة التي ذكرها في كتابه، ولعل قدامة أراد أن يوضح كيف يساعد التشبيه كأداة بلاغية تستخدم في بناء صورة شعرية قوية كما هو واضح في المثال السابق، ولكنه لم يصف التشبيه كغرض مستقل مثل الغزل أو المدح أو الفخر، وعرض التشبيه في هذا المثال وغيره من الأمثلة التي ذكرها تظهر اهتمامه بوظيفته البلاغية من داخل الأغراض الشعرية المعروفة، وليس كغرض مستقل، وإذا قرأنا نصوص قدامة حرفيًا نجد أنه لم يصرح بأن التشبيه غرض شعري، بل كان يوضح أمثلة على كيفية استخدام التشبيه، في فصل مستقل وهذا خطأه الوحيد الذي جعله عرضة لهجوم عنيف من قِبَل النقاد والأدباء .

ولذلك يقول د/ بدوي طبانة دفاعًا عن قدامة في هذا الشأن« وليس معنى كلامنا أننا نخطئ قدامة في عقده فصلًا خاصًا بفن التشبيه في كتاب يؤلفه في نقد الشعر، ولكن كان خطأه في موضعه حيث وضعه، فإن مكانه الطبيعي معاني الشعر، حيث يقرن بالتمثيل والاستعارة، وإن كان قدامة لم يشبع القول في الاستعارة، ولم يوفها حقها من البحث والدرس، ومع أنه قد سبقه إلى الكلام فيها عبدالله بن المعتز الذي ذكر محاسنها.... ومع ذلك فكل من التشبيه والاستعارة والتمثيل، وما إليها تدخل في باب واحد ، هو الخيال على حسب الوضع الحديث لفن النقد »[٢]

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١١٠

(٢) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٣٧٣، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩

ثم ينتقل عبدالله الطيب إلى نقطة أخرى في قوله« ولا ريب أن الوصف من أغراض الشعر الكبرى » يقر هنا بأن الوصف هو أحد الأغراض الشعرية الأساسية والمهمة، حيث يعتمد عليه الشعراء في تصوير الطبيعة والإنسان، والآثار القائمة، والمنشآت الجميلة، والحوادث الكبيرة وكل ما يعن للإنسان تسجيله باللغة فهو نظير الرسم والتصوير، يعتمد على الخيال وصدق التعبير والعاطفة الأساسية التي تنشئ الوصف هي الإعجاب والروعة بما يشهده الأديب فيفسره تفسيرًا خاصًّا متأثرًا بمزاجه ووجهة نظره، ويخلع عليه من نفسه تفاؤلها أو تشاؤمها، إكبارا أو ازدراءها. (١)

والوصف كغرض شعري يعني أن القصيدة تُبنى أساسًا من بدايتها إلى نهايتها على تصوير شيء معين بدقة وبلاغة، وقوله« وصلة التشبيه به واضحة» أي أن التشبيه أداة بلاغية تُستخدم بشكل رئيس لتحقيق غرض الوصف، إذ لا بد أن يكون بين المشبه والمشبه به اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، فهو يدخل في الوصف كما ترى وليس في الحقيقة(٢).

وبناء على ذلك في هذه – النقطة– عبدالله الطيب يوضح أنَّ العلاقة بين التشبيه والوصف ليست علاقة تساوي أو استقلال بأن كلاً منهما مستقل عن الآخر، بل هي علاقة تكامل أي إن الوصف غرض رئيس في الشعر، والتشبيه أداة تُكمل هذا الغرض وتثريه في موضعه الذي قصده الشاعر في أبياته، وهو

(١) ينظر: الأسلوب/ أحمد الشايب ص٩٠، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: تاريخ آداب العرب/ مصطفى صادق الرَّافعي ، ج٣ ص ٩٤، دار الكتب العلمية بيروت لبنان– الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

بذلك يفصل بينهما، وينتقد أية محاولة لإعطاء التشبيه صفة الغرض الشعري في العبارة السابقة.

٢- وقفة عبد الله الطيب لنهج قدامة بن جعفر في الوصف الشعري

في قوله« والغالب على طريقة المحدثين في الوصف زخرفة الألفاظ والمعاني وقد عرضنا لهذا المعنى كثيرًا من قبل. وقد رام قدامة أن يجمع بين صفة طريقتي القدماء والمحدثين في الفصل القصير الذي عقده للوصف فقال في أوائل تصديره له: «ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته»[١]

عبدالله الطيب في هذه الجزئية يناقش طريقة قدامة بن جعفر في تحليل الوصف الشعري، ويقوم بتوضيح بعض النقاط المهمة حول كيفية تناول قدامة لهذا الموضوع حيث يشير في قوله« والغالب على طريقة المحدثين في الوصف زخرفة الألفاظ والمعاني » أي إن المحدثين من الشعراء يميلون إلى استخدام الألفاظ والمعاني المزخرفة بشكل قد يتفوق أحيانًا على الجوهر المعنوي أو الصدق الفني في التعبير، وعبدالله الطيب عرض هذه الملاحظة بشكل عام في نقده للمحدثين[٢]، ويقارنها بأسلوب القدماء الذين يميلون إلى التعبير المباشر والواضح، فـ قدامة بن جعفر « رام أن يجمع بين صفة طريقتي القدماء والمحدثين في الفصل القصير الذي عقده للوصف» فهذه العبارة من عبدالله الطيب تشير إلى أن قدامة بن جعفر حاول في تحليله لموضوع الوصف الشعري أن يقدم رؤية تجمع بين أسلوب القدماء والمحدثين في الوصف في الفصل الذي

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٦٠٩، وينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١١٨، وما بعدها .

(٢) راجع: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٢ ص ٣٠١

عقده له في كتابه " نقد الشعر" ، وهذا الاختصار في فصل قدامة بن جعفر من وجهة نظر عبدالله الطيب سببًا في عدم التعمق الكافي للفروق الجوهرية بين الطريقتين، أو تقديم رؤية أكثر وضوحًا للجمع بينهما

ثم يأتي عبد الله الطيب بقول قدامة بن جعفر للوصف لتوضيح وجهة نظره «ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته» قول قدامة بن جعفر هذا يحمل الكثير من الدلالات حول الطريقة المثلى للوصف الشعري من وجهة نظره حيث يقصد أن الموضوعات التي يتناولها الشعراء في الوصف ليست بسيطة أو خالية من التعقيد، بل عادة تتكون من معان متعددة، والشاعر الجيد منهم من يستطيع أن يجمع في وصفه جميع الجوانب المميزة للشيء الموصوف، بدلًا من تشتيت القارئ بتفاصيل أقل أهمية للشيء الموصوف، ويجعل القارئ أو المستمع يتخيل الشيء الموصوف وكأنه يراه بعينه، إذا قدامة يقدم منهجًا للوصف الشعري يعتمد على (شمولية المعاني– ترتيب الأهمية للسمات الوصفية عند الشاعر– جعل الوصف مؤثرًا يشعر به المتلقي وكأنه حاضر أمامه).

ثم استشهد–أي قدامة– بأبيات مقاربة لهذا الذي ذكره، وكأنها تمهد من بعيد لمذاهب المحدثين أولها بيت الشماخ [1] في صفة أرض تسير فيها النبالة

تَقَعْقَعُ في الآباطِ منها وفِاضُهَا ∴ خلتْ غيرَ آثارِ الأراجيلِ ترتمِي

---

(١) البيت ورد هكذا في كتاب نقد الشعر ص١١٩، والمرشد إلى فهم أشعار العرب ج٤ ص ٦٠٩ ، لكن في ديوان الشماخ ورد هكذا:

عفتْ غيرَ آثارِ الأراجيلِ تَعْتَرِي ∴ تَقَعْقَعُ في الآباطِ منها وفِاضُهَا.

وقال عنه المحقق أن هذه هي الرواية الصحيحة للبيت، وغير ذلك خطأ. ينظر: ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ص ٢١١، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

فزعم– أي قدامة– أنه حكى حال النبالة حاملي وفاضهم في آباطهم «حتى كأن سامع قوله يراها»، ثم جاء ببيت لأبي ذؤيب[١] من الجيمية التي مرت أبياتها منها ذكرناها.

لكُلِّ مسيلٍ مِنْ تِهَامَةَ بَعْدَمَا ∴ تَقَطَّعَ أَقْرَانُ السَّحَابِ عَجِيجُ

ومنه قول[٢] رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاد: من الكامل

كَغَمَـاغِمِ الثِّيرانِ بَيْنَهُمُ ∴ ضَـرْبٌ تُغَمَّضُ دُونَهُ الحَدَقُ

ثم ببيتين في الفخر ضمنا وصف النجوم من قول معاوية بن خليل النصري: [٣]

ونحـنُ الثرايا وعيوقها ∴ ونحـنُ السما كان والمرزمُ

وأنتـمُ كواكبُ مجهولةٌ ∴ تـرى في السماءِ ولا تعلمُ

وليس أمر الوصف في هذين البيتين بينًا وإنما ذكر أسماء نجوم مشهورة ونعت غيرها الكثيرات بأنها لا تعلم كأنه يتنقص بذلك خصمه، وما أحسبه أصاب حقيقة التنقص إذ جعل هؤلاء الخصوم نجومًا عالية المكان في السماء. [٤]

عبد الله الطيب في نقده لهذه الأبيات التي ذكرها قدامة بن جعفر يركز على أن الوصف الذي قصده قدامة بن جعفر في هذه الأبيات ناقص الوضوح، مع سوء استخدام التناقض البلاغي الذي سعى إلى تسليط الضوء عليه، فقوله «

(١) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ص ٨٣ ، تحقيق وتخريج د/ أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

(٢) ديوان المُسيب بن عَلَسْ ص ١١٠ ، جمع وتحقيق ودراسة د/ عبدالرحمن محمد الوصيفى ، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) لم أقف على ديوانه، أبياته موجودة في كتاب المرشد ج٤ ص ٦١٠ ، ونقد الشعر ص ١٢٠

(٤) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٤ ص ٦٠٩، ٦١٠، وينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر من ص ١١٩ إلى ص ١٢٢

وليس أمر الوصف في هذين البيتين بينًا » إشارة إلى الأبيات التي ذكرها قدامة بن جعفر ليست واضحة في تحقيق الغرض الشعري من الوصف الذي قصده قدامة في مقدمة حديثة عنه.

وقوله:« وإنما ذكر أسماء نجوم مشهورة ونعت غيرها الكثيرات بأنها لا تعلم كأنه يتنقص بذلك خصمه» يشير عبدالله الطيب إلى أنَّ الشاعر في هذين البيتين اعتمد على ذكر أسماء نجوم مشهورة، لكنه في الوقت نفسه وصف بقية النجوم بأنها غير معروفة، حيث استخدم هذا الأسلوب البلاغي في الوصف للتقليل من مكانة خصمه عن طريق إظهار الفرق بين النجوم الشهيرة والغير شهيرة منها، وعبدالله الطيب في قوله « وما أحسبه أصاب حقيقة التنقص » يشكك في نجاح الوصف أو الصورة التي قصدها الشاعر وهي إبراز التناقص بينه وبين خصمه، بسبب « جعل هؤلاء الخصوم نجومًا عالية المكان في السماء» أي أعطى لخصمه مكانة عالية حين شبههم بالنجوم المرتفعة في السماء، وهذا يعني أن محاولة الشاعر من تقليل خصمه جاءت بنتيجة عكسية، حيث أظهر الخصم بمكانة عالية بدلًا من الانتقاص منه.

هكذا ركز عبدالله الطيب على الأمثلة ونقدها دون الفكرة الأساسية التي طرحها قدامة بن جعفر عن أسلوب القدماء والمحدثين في الوصف الشعري، متجاهلًا الظروف الفكرية والنقدية التي عاش فيها قدامة، حيث كان النقد وقتها لا يزال في بداياته ومجرد التنظير بحد ذاته جهدًا يشكر عليه، واختياره للأمثلة وإن لم يوفق فيها من وجهة نظر عبدالله الطيب من الناحية التطبيقية لفكرته، لا ينقص من قيمة رؤيته الشاملة للفكرة التي طرحها حول الوصف.

رغم ذلك عبدالله الطيب محقًا تمامًا في نقده للأبيات التي قدمها قدامة بن جعفر لفكرته، فكيف تقلل من خصمك وفي الوقت نفسه تصفه بأنه نجم في السماء؟ لا نقول بأن قدامة بن جعفر أخطأ بل نقول على الأقل تسرع في اختيار الأمثلة التي قدمها لفكرته، وهذا لا يلغي أن قدامة بن جعفر يمثل رؤية تأسيسية للنقد في زمانه، وعبدالله الطيب يمثل النقد الناضج والمتمرس في زمانه، لكنه

يبدو قاسيًا وغير منصف تاريخيًا في تقديره لجهود قدامة بن جعفر، لأن لكل منهم سياق ثقافي مختلف.

ثم يواصل عبد الله الطيب نقده لقدامة بن جعفر إلى أنه اختتم حديثه حول الوصف الشعري باستشهاد ثمانية أبيات، وختم قدامة فصله بعد ثمانية أبيات استشهد بها بعد ما قدمنا ذكره من شواهده ما أرى أنه يستحق أن يستجاد منها غير قول عبد الرحمن القس في غناء سلامة: (١)

إذا ما عجَّ مزهرُها إليها ∴ وعاجتْ نحوهُ أذنٌ كرامُ

فأصغوا نحوهَا الأسماعَ حتَّى ∴ كأنهمُ وما نامُوا نيامُ

ببيتين لذي الرمة في مية: (٢)

ترىَ الخودَ يكرهنَ الرياحَ إذا جرتْ ∴ ومىٌّ بها لولا التحرجُ تفرحُ(٣)

---

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٤ ص ٦١٠، وينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر من ص ١٢١، ١٢٢، وينظر: الأبيات في كتاب « ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري ج٣ ص ١٤٠، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

(٢) ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، ج٣ص ١٨٥٤، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٢ م – ١٣٩٢هـ

(٣) الْخَوْدُ _ من النِّسَاء _: الحَسنَةُ الْخَلْق، وقيل: الفتاةُ الشّابَّةُ مَا لم تَصِرْ نَصَفاً. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ج٧ ص ٢١١، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.، مي: معشوقة ذي الرمة. ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٢٢.

التحرج: الضيق . ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ج٥ ص ٤٨٠ ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون

إذا ضربتْها الريحُ في المرْط أشرفَت .:. روادفُها وانضمَّ منها الموشحُ[1]

وهو في هذا ينتقد الاختيار العام لهذه الأبيات الثمانية بأنها لا تضيف جديدًا في الوصف الشعري الذي يحاول قدامة توضيحه في الفصل الذي عقده لهذا الموضوع في كتابه نقد الشعر، باستثناء أبيات عبد الرحمن القس وذي الرمة لها قيمة أدبية تستحق الاستحسان من وجهة نظره، لأنه كما يقول قدامة بن جعفر عن أبيات عبدالرحمن القس بأنها تصف إصغاء السامعين إلى الغناء الحسن الطرب من سلامة[2]

وأعجب بأبيات ذي الرمة- علي حسب فهمي لها- لأنه لم يبين الوصف الشعري الذي جعله يعجب بها، كما أن قدمة بن جعفر- أيضًا- لم يوضحه، وهي أن الأبيات تصور جمال النساء الرقيقات في حركتهن ورشاقتهن في مشهد حسي، حيث استخدم ذو الرمة التشبيه والاستعارة ببراعة لتجسيد حركة النساء (الخود) في الرياح والأرض الرطبة، مما يجعل القارئ يتخيل المشهد كأنه يراه، هذا الوصف يحقق فكرة قدامة بن جعفر عن جمع المعاني المتعددة في

(١) المِرْط: كساء من خزٍّ أو كتان أو صوف أو شعر. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم/ نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، ج٩ ص ٦٢٦٣،
المُوَشَّح: بضم الميم وفتح الواو وتشديد الشين؛ الثوب المَوْشيُّ، أو ما كان فيه نقوش على هيئة الوشاح. ينظر: المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث» د. رجب عبد الجواد إبراهيم ص ٥٢٨، تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي ، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة)، دار الآفاق العربية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

(٢) ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٢٠، ١٢١.

الموصوف ، كما أن الأبيات تمتاز بالجزالة والوضوح التي تعكس أسلوب القدماء، وتدل على مهارة ذي الرمة في الوصف.

وخلاصة القول: أن نقد عبدالله الطيب يتسم بالدقة والعمق في نظرته للنصوص الأدبية، ولكنه كان عليه أن يراعي في اعتباره الظروف التي أنتج فيها هذا العمل النقدي المبكر لقدامة بن جعفر لأنها انعكاس للسياق الثقافي والزماني الذي عاش فيه، خاصة أن قدامة كان من أوائل النقاد الذين حاولوا تقديم نظريات نقدية في مجال الأدب وهو جهد يحسب له.

٣- وقفة عبدالله الطيب لتعريف قدامة بن جعفر لمفهوم التكافؤ، والخلط بين الطباق والمقابلة

في قوله « ولم يخل قدامة من نرى إلى القدامى في حديثه عن التكافؤ (وهو الذي يسميه غيره طباقًا) لأنه زعم أن التكافؤ هو: "أن يصف الشاعر شيئًا أو يذمه ويتكلم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع: أي متقاومين إما من جهة المصادرة، أو السلب أو الإيجاب، أو غيرهما من أقسام التقابل".[١]، وقد كان في وسع قدامة أن يذكر التضاد في تعريف ما سماه التكافؤ، ولكنه عدل إلى التقابل والتقاوم، لأن هذا أدل على ما قصد القدماء من الحذو، ومن وضع الأيدي مكان الأرجل»[٢]

في هذا القول يتناول عبدالله الطيب نقد قدامة بن جعفر لمفهوم التكافؤ في الشعر، حيث يظهر أن قدامة تأثر بمفاهيم النقاد القدامى رغم أنه حاول وضع تعريفًا خاصًا به وهو التعريف السابق الذي ذكره قدامة للتكافؤ، وفي قوله (وقد كان في وسع قدامة أن يذكر التضاد في تعريف ما سماه التكافؤ، ولكنه عدل إلى التقابل والتقاوم، لأن هذا أدل على ما قصد القدماء من الحذو، ومن وضع

(١) ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٤٣

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٢ ص ٢٦٧ .

الأيدي مكان الأرجل» يشير إلى أن قدامة كان بإمكانه ببساطة أن يُعرِّف التكافؤ باستخدام مصطلح التضاد لكنه استخدم مصطلحات أكثر تعقيدًا مثل " التقابل" و" التقاوم" وكأنه يتبع طريقة من قبله من النقاد (الحذو).

وفي موضع آخر يبن اضطراب المصطلح لدى كل من قدامة، وأبي هلال ، وابن رشيق في قوله « وكرر ابن رشيق عبارة أبي هلال بلفظ يشبهها، وذكر خلاف قدامة والنحاس، اللذين يسميان الجمع بين الشيء وضده التكافؤ. والفرق الأساسي بين رأي المتأخرين ورأي الأوائل: انهم، كما قدمنا، ضيعوا معنى الطباق، وحصروه في الناحية اللفظية، المتمثلة في الجمع بين أشياء متضادة، كالليل والنهار، والحر والبرد، وقد مال قدامة شيئًا إلى مذهب الأصمعي والخليل، حين زعم أن الطباق: هو اشتراك لفظة بعينها، مكررة في معنيين مختلفين »[١]

وأيضا بدوي طبانة يقول في هذا المصطلح « الواقع أنه لا مناسبة بين المعنى اللغوي والاسم الاصطلاحي، لأن المعنى اللغوي يتضمن الجمع بين شيئين أيا ما كانا، أما التكافؤ فهو من الكفاءة، وهي المماثلة، وكون الشيء نظير الشيء، فالرجل كفء المرأة، إذا كان مساويا لها، والليل كفء النهار، لأن كلا منهما طرف، وكذلك السواد والبياض كل منهما طرف » [٢]

وقد فَرَّق ابن عبد الواحد بين الطباق والتكافؤ، فالطباق عنده ضربان: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز، فما كان منه بلفظ الحقيقة سمي طباقاً، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤاً، فمثال التكافؤ قول أبي الشغب العبسي: [٣] من الكامل

حلـوُ الشمائِل، وهوَ مـرٌّ باسلٌ ∴ يـحمِي الذمارَ صبيحةَ الإرهـاقِ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٢ ص ٢٦٦ .

(٢) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٢٧٩، ٢٨٠ ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. .

(٣) لم أقف له على ديوان .

لما كان قوله " حلو " و " مر " خارجاً مخرج الاستعارة إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق، كان هذا تكافؤاً.، وأما الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة فقد قسموه ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب– وطباق السلب– وطباق الترديد. (١)

ومن الذين لم يرضهم تجديد قدامة في الألقاب غير عبدالله الطيب الآمدي صاحب الموازنة الذي يقول« وهذا باب – أعني المطابق – لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر في كتابه المؤلف في نقد الشعر " المتكافئ "، وسمى ضرباً من المجانس المطابق، وهو: أن تأتي الكلمة مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها، ويكون معناها مخالفاً، وما علمت أن أحدًا فعل هذا غير أبي الفرج، فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألفاظ غير محظورة، فإني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألفَّ فيها؛ إذ قد سبقوه إلى اللقب، وكفوه المؤونة»(٢)

ويعلق د/ مندور على أن إشارة الآمدي هذه لها دلالتها من حيث أنه قد درس ما كتبه قدامة، وما كتبه ابن المعتز وأمعن في كل ذلك حتى أقام المقابلات بين اصطلاحات، وانتقد عدم أخذ قدامة بما سبق إليه من تعاريف(٣).

---

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لأبي الإصبع العدواني، البغدادي ص ١١١، ١١٢،تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي بدون، ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٤٣، وينظر: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٢٨٠.

(٢)الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ج١ ص ٢٩١، ٢٩٢، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف – دار المعارف – الطبعة الرابعة، ١٩٩٢ م، وينظر: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٢٨٠.

(٣) ينظر: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة د/ محمد مندور ص١٣٥، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٦م.

ويدافع د/ بدوي طبانة على هذا الاختلاف بقوله « ولكن الاختلاف في الألقاب جعل أكثر العلماء يتصدون لقدامة ويحملون عليه، ويرفضون تسمياته، ويجمعون على تخطئته، لغير سبب ظاهر من القياس اللغوي أو الاصطلاحي»[١]

من هنا يمكن القول: أن دفاع د/ بدوي طبانة منطقي إذا نظرنا إلى ضرورة التطوير في النقد، ومدى وضوحه وإسهامه في تحسين الفهم النقدي، فإذا كان مصطلح (التكافؤ) يساعد في توسيع المفهوم ويضيف إضافة إيجابية فلا بئس به، لكن إذا كان هذا التجديد مجرد تغيير شكلي كما يرى عبدالله الطيب وغيره من النقاد، فإن النقد الموجه له يكون منطقيًا ومقبولاً.

- **أما عن الخلط بين الطباق والمقابلة** فيقول عبدالله الطيب« وأرى أن فريق النقاد المتأخرين، قد كانوا أقل حذقًا من المتقدمين الأولين فيما ذكروه من اصطلاحي الطباق، والمقابلة، وكلا النوعين كان يعرفه القدماء باسم المطابقة. وإنما أنسبهم إلى قلة الحذق، لأني أجدهم قد قصدوا إلى الحصر والتبسيط ثم عجزوا عن ذلك. فهم أرادوا بالطباق – حصر هذه اللفظ– واصطلاحه لشيء معين، هو الجمع بين الشيء وضده، وهذا أضيق من معناه عند الأوائل، ثم أرادوا بالمقابلة حصر ما كان يدخله القدماء في باب الطباق من صنوف المساواة والحذف في حيز واحد. فعرفوا المقابلة بأنها إعطاء كل شيء حكمه من جهتي المخالفة والموافقة، وهذا مذهب قدامة، واتبعه عليه الناس»[٢]، حيث قال: "من أنواع المعاني وأجناسها أيضًا صحة المقابلة، وهو أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض،

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص ٢٨٠ .

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٢ ص ٢٦٩، ٢٧٠ .

والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطًا ويعدد أحوالا في احد المعنيين فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفي ما يخالف بضد ذلك، ثم اخذ قدامة يستشهد، فذكر قول الشاعر: [١]

تقاصرنَ واحلولين لي ثمَّ إنهُ ∴ أتتْ بعدُ أيامٌ طوالٌ أمرتِ

وقول الشاعر:

وإذا حديثٌ ساءني لم أكتئبْ ∴ وإذا حديثٌ سرني لم آشرِ

وغير ذلك[٢]، ويوضح عبدالله الطيب أن الشاهدان الماضيان كما ترى يصح إيرادهما في باب الطباق على حسب رأي المتأخرين، وفي باب التكافؤ على مذهب قدامة والنحاس. والحق أن النقاد القدماء قد خلطوا بين أمثلة الطباق والمقابلة خلطًا واضحا، حتى إن مدلولهما ليكاد يخفي[٣]، هكذا عبدالله الطيب ينتقد قدامة من وسار على نهجه لأنهم لم يحددوا بوضوح الفروق الدقيقة بين الطباق والمقابلة، مما أدى إلي الخلط بين الظاهرتين البلاغيتين، ولذلك عبدالله الطيب أكثر إقناعًا في هذه النقطة، لأنه ينادي بالدقة والتخصص وهو أمر حيوي، ورغم ذلك لا يمكن إنكار فضل قدامة وغيره من النقاد في وضع البدايات الأولى للنقد البلاغي.

(١) الأبيات موجودة في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٣٣، ١٣٤، والمرشد ص ٢٧٠

(٢) ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص١٣٣، وما بعدها، وينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٢ ص ٢٧٠ .

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب ، ج٢ ص ٢٧٠ .

المبحث الثالث: وقفات عبدالله الطيب للجوانب الأسلوبية والموسيقية عند قدامة بن جعفر

يناقش هذا المبحث نقد عبدالله الطيب لآراء قدامة بن جعفر المتعلقة بالأسلوب والموسيقى في الشعر العربي، ويركز على مناقشة وملاحظات الطيب حول مفهوم التوشيح الذي حصره في التكرار النغمي، بالإضافة إلى رؤيته لدور القافية في تحقيق الانسجام الموسيقي...وإشارة الطيب إلى ضرورة الاعتناء بهما.

١- وقفة عبدالله الطيب لتعريف قدامة بن جعفر لمصطلح التوشيح وحصره في التكرار النغمي، وأيضًا " التكلف "في " الترصيع "

في هذا يقول عبدالله الطيب « والنوع البديعي الذي يسميه قدامة بالتوشيح وتابعه على ذلك أبو هلال يدخل تحت صنف التكرار النغمي. وحده عند قدامة" أن يكون أول البيت شاهدًا بقافيته، ومعناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته" وتمثل قدامة بقول الراعي[(١)]: من الوافر

وإنْ وُزِنَ الْحَصَى فَوَزَنْتُ قَوْمِي.: وَجَدْتُ حَصَى ضَرِيبَتِهِمْ رَزِينا

حيث رأى عبد الله الطيب أن هذا اضطراب من قدامة في هذا المصطلح ولم يكن قدامة وحده بل أبو هلال[(٢)] وابن رشيق[(٣)] على ما بينهم من التفاوت في

---

(١) ديوان الرَّاعي النميري ص ٢٣٥، شرح د/ واضح الصمد، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) أبي هلال يقول عنه: وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبىء عن مقطعه؛ وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعرا، أو عرفت رواية؛ ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه. ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٨٢، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ

(٣) التوشيح عند ابن رشيق: أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته، وشاهداً بها دالاً عليها. ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لا بن رشيق القيرواني ح٢ ص ٣٢ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

الدقة والإصابة. ذلك بأنهم غفلوا جميعًا عن طبيعة التكرار من حيث هو تكرار، والطباق من حيث هو طباق، والجناس من حيث هو صياغة فالبيت الذي يجدون فيه قافية ترجع إلى صدر البيت أو كلمة من عجزه زعموا أن فيه تصديرًا. والذي يشعر أوله بمقطعه وتركيبه بقوا فيه، زعموا أن فيه توشيحا– على حد تعبير قدامة وأبي هلال» (١)

عبدالله الطيب من خلال كلامه – السابق– يعترض على تعريف قدامه بن جعفر لما يسمى بـ" التوشيح" كنوع بديعي، ويرى أن قدامة تعامل مع المصطلح بطريقة ضيقة ومحدودة، إذ ركز فقط على الجانب الصوتي أو التكرار النغمي للقافية دون أن يأخذ في الاعتبار الجوانب الأخرى لهذا المصطلح في الشعر، حيث يقول عبدالله الطيب « إن التوشيح الذي عند قدامة، ورد الأعجاز على الصدور الذي عند أبي هلال كليهما داخلان تحت التكرار النغمي، المراد به تقوية الجرس» (٢)

ثم جاء بالأمثلة التي تعضد وجهة نظره، مثل قول البحتري(٣) في التكرار النغمي، من الكامل

شوق إليك تفيض منه الأدمع ∴ وجوي عليك تضيق عنه الأضلع

وهوى تجدده الليإلي كلما ∴ قدمت وترجعه السنون فيرجع

إني وما قصد الحجيج ودونهم ∴ خرق تخب به الركاب وتوضع

أصفيك أقصى الود غير مقللٍ ∴ إن كان أقصى الود عندك ينفع

وأراك أحسن من أراه وإن بدا ∴ منك الصدود وبان وصلك أجمع

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٧٤وما بعدها.

(٢) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٧٥.

(٣) ديوان البحتري ج ٢ ص ١٣١٠، ١٣١١، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧م

يعتـــادني طربـــي إليـــك فيغتلـــي ∴ وجـــدي ويـــدعوني هـــواك فـــأتبع

كـــلفًا بحبـــك مـــولعًا ويسرنـــي ∴ أنـــي امـــرؤ كلـــف بحبـــك مـــولع

ألا ترى حرص البحتري هنا على الترنم وتأكيد النغم، والتلذذ بترديده وإعادته؟ دع عنك تكراره "لترجع" في البيت الثاني و"أرى" في البيت الخامس وانظر إلى قوله "أصيفك أقصى لود" في صدر الرابع، وقوله "إن كان أقصى الود" في عجزه؛ وإلي قوله: "كلفا بحبك مولعا" في صدر السابع وقوله "كلفٌ بحبك مولع" في عجزه. فهذان التكراران، مع اشتمالهما على لون عاطفي خطابي، أوضح شيء فيهما إراغة الترنم والتنغيم والاستمتاع بموسيقا التفعيلات، وإظهار الانسجام بينها وبين لفظ البيت وكلماته المؤلفة(١)

عبدالله الطيب يظهر من خلال هذه الأبيات أن التكرار ليس مجرد زينة لفظية بقدر ما هو وسيلة فنية تحقق التوازن بين العاطفة والخطابية من جهة، والموسيقى الشعرية والتفعيلات من جهة أخرى، وهذا التكرار يظهر براعة البحتري بين جمال المعاني والموسيقى الشعرية ، وهذا جعل أبياته أكثر انسجامًا وجاذبية.

ومن خلال هذه الأبيات وغيرها(٢) ... نجح عبدالله الطيب في بيان أن التكرار في القصيدة ليس عشوائيًا، بل أداة فنية يوظفها الشاعر لتحقيق التوازن بين الإيقاع والمعنى سواء تكرار مباشر أو مرادفات تُثري النص وتزيده جمالًا...، وهذا يعكس عمق فهمه لجماليات الشعر العربي، بخلاف قدامة بن جعفر الذي حصر مفهوم " التوشيح" في إطار التكرار النغمي، أما عبدالله الطيب فيرى التوشيح أوسع من مجرد التكرار النغمي أو القافية، فهو مفهوم شامل يجمع بين

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٧٦.

(٢) راجع: تحليله لأبيات مالك بن الريب وما فيها من تكرار وبيان دوره...، المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٢ ص١٠٩إلي ص ١١٤

الموسيقى الشعرية، والبلاغة ، ويشمل التزيين في المعنى والصياغة، وليس مجرد عنصر صوتي محدود.

– وثمة وقفة أخرى لعبدالله الطيب مع ما ذكره قدامة من " التكلف" في " الترصيع" في أبيات أبي المُثَلَّم الهذلي في قوله(١)

لـو كـان للـدَّهْرِ مـالٌ كـان متُلْـده ∴ لكـان للـدَّهْرِ صَـخْرٌ مـالَ قُنْيَـانِ

آبِى الْهَضِيمَةِ نَـابٍ بالعَظَيمَـةِ مِت ∴ لافُ الكَرِيمَـةِ لا سِـقْطٌ ولا وانِـى

حـامِى الحقيقـةِ نَسَّالُ الْوَدِيقَـةِ مِعْ ∴ تَـاقُ الوَسِـيقَةِ جَلْـدٌ غَيْـرُ ثُنْيَـانِ

رَبّـاءُ مَـرْقَبَةٍ مَنَّـاعُ مَغْلَبـةٍ ∴ وَهَّـابُ سَلْـهَبَةٍ قَطَّـاعُ أَقْـرَانِ

هَبَّـاطُ أَوْدِيَـةٍ حَمَّـالُ أَلْوِيَـة ∴ شَهَّـادُ أَنْـدِيَةٍ سِرْحَـانُ فِتْيَـانِ

حيث يقول عبدالله الطيب معلقًا على هذه الأبيات « ولعلك رأيت أن البيتين الأولين مما سجع فيه الشاعر من غير تقطيع، والبيتين الأخيرين مما قطع فيه وسجع، وهذا يسميه النقاد ترصيعًا، ثم تخلص من هذا جميعه بسجعات أطول غير متشابهة كل التشابه، وأتبعها بيتًا كاملاً مُقسمًا بحسب المواقف ليس إلا، والتقسيم هنا، كما ترى ترصيع كله، تجري الأقسام منه على أرباع البيت. وقد استحسنه قُدامة غاية الاستحسان، وتبعه ابن رشيق، من دون أن يصرح بتعليق من عند نفسه، وإنما اكتفى بأن يقول: "وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعًا، أو شبيهًا بالمسجوع، فذلك هو الترصيع عند قُدامة، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابًا عظيمًا»(٢)

(١) الأبيات موجودة في المرشد ج٢ ص ٣٢٦، ونقد الشعر ص ٥٠،٥١ ، ولم أقف له على ديوان.

(٢) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ١٨١، ٣٢٦، ٣٣٣، وينظر: نقد الشعر قدامة ص ٥٠ وما بعدها، ينظر: العمدة لابن رشيق ج٢ ص٢٦.

٢- وقفة عبدالله الطيب لإغفال قدامة بن جعفر دور القافية في ائتلاف عناصر الشعر.

حيث ذكر عبدالله الطيب أن قدامة اهتم بائتلاف الوزن مع القول المسرود فيه، وأهمل القافية مع الأجزاء والفصول الأخرى المكونة لحد الشعر حيث قال « وقد فطن قدامة- رحمة الله عليه- إلى الائتلاف الذي بين الوزن المحض والقول المسرود فيه، وسماه ائتلاف اللفظ والوزن، ولكنه أجحف بأمر القافية، وزعم أن ليس لها ائتلاف مع الأجزاء والفصول الأخرى المكونة لحد الشعر، مثل الوزن واللفظ مثلا » [١]

ويتعجب عبدالله الطيب من كراهية استخراج ستة ائتلافات من عناصره الأربعة وربط ذلك بقوله« ومن الغريب حقًا أن قدامة لم يستطع أن يتجاهل ما للقوافي من علاقة بنظم الشعر، من حيث ائتلافها معه، ونبؤها عنه. مثلا: إذا اضطر شاعر أن يضيف "فاستمع" أو "يا عالما بحالي" ليكمل البيت، ويأتي بالقافية، فإن هذا يتنافر مع سائر معني البيت، وقد مثل قدامة للتنافر فيما مثل به بقول القائل [٢]:

وَوُقِيتَ الحُتوفَ مِن وارثٍ وَا .·. لٍ وأَبْقَاكَ صَالِحاً ربُّ هودِ

وانتقد هذا قائلا: "فليس نسبة الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود، أجود من نسبته إلى رب نوح، ولكن القافية كانت دالية، فأتي بذلك للسجع، لا لإفادة معنى بما أتى منه»[٣]

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٥٧.

(٢) لم اقف له على ديوان

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج ٢ ص ٥٧، وينظر: نقد الشعر ص ٢٢٥

كان غرض عبدالله الطيب حين وضع ائتلاف أقسام الشعر اللفظ والوزن والمعنى في ستة أضرب أنها لائتلاف مع بعض، ولم يجد للقافية ائتلاف معهم لأنه جزء من البيت الشعري نفسه في قوله « إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها على حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة، وهي اللفظ، والمعنى، والوزن، والتقفية، وجب – بحسب هذا العدد – أن يكون لها ستة اضرب من التأليف، إلا أني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر ائتلافاً، إلا أني نظرت فيها فوجدتها، من جهة ما، أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأما مع غيره فلا، لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى، كما لذلك اللفظ أيضاً، والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضاً، إذ كانت لا تعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع غيره » (١)

وقد رأى عبدالله الطيب أن قدامة فاته « أن القافية كما تتنافر مع المعنى، فقد تتنافر مع اللفظ، وقد تتنافر مع الوزن والنغمة. والعجب له كيف أجاز لنفسه أن يجعل بين القافية ومعني البيت ائتلافاّ، مع أنها بزعمه كلمة ليس لها حظ من الذاتية، إلا مجيئها في مقطع البيت، ومجيئها في مقطع البيت، على حسب قوله، ليس "ذاتيًا لها وإنما هو شيء عرض لها، بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٢٥

البيت غيرها، وليس الترتيب– أن لا يوجد للشيء تال يتلوه– ذاتًا قائمة فيه. فهذا هو السبب في أنه لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها»[١]

وقدامة يرى أنها قافية قائمة بذاته، كما أنها هي مقطع البيت وآخره في قوله «فأما من جهة ما هي قافية، فليس ذلك ذاتاً يجب لها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها: إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره، وليس أنها مقطع ذاتي لها، وإنما هو شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها، وليس الترتيب، وأن لا يوجد للشيء تال يتلوه، ذاتاً قائمةً فيه، فهذا هو السبب في أن لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها »[٢]

ومن ناحية ائتلاف القافية مع المعنى فقد ترك قدامة بن جعفر الأمر على حسب المراد، فهو لا يرفض تمامًا أن تتآلف مع باقي عناصر الشعر، حيث يقول« وإن أراد مريد أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه، فصار ما حدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض: أربعة، وهي: ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وصارت أجناس الشعر ثمانية »[٣]

وهذا الأمر جعل عبدالله الطيب يتعجب منه في جواز ائتلاف المعنى مع القافية، ولم يجوزها مع اللفظ والوزن في قوله « وأعجب من ذلك، أنه حيث جسر أن يجعل لها ائتلافًا مع معنى البيت، خاف من أن يجعل لها ائتلافًا مع وزنه ولفظه. والذي فاته أن القافية، متي وجدت، فإنها ليست بشيء عرضي، وليست

(١)المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٥٧

(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٢٥، ٢٦ .

(٣) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ٢٦.

بكلمة كسائر كلمات البيت، وانما هي رمز يشير إلى طبيعة نغمة ورئته، ورنة سائر القصيدة ووزنها » [١]

وفي موضع آخر يؤكد وجهة نظره في خطأ قدامة نحو القافية فيقول « وقد أخطأ قدامة حيث زعم أن القافية شيء زائد على الوزن لأنها كما قال كلمة تزاد عند مقطع البيت ليست لها ذات قائمة بنفسها»[٢]

وابن رشيق يرى أيضًا أنها شريكة الوزن حيث يقول « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية»[٣]

حتى د/ إحسان عباس يرى أن قدامة وقع في حيرة من أمرها حين أراد أن يستكشف ائتلافها مع هذه العناصر. لأنها ليست وحدة قائمة بذاتها، ثم وجد – على سبيل التسامح – إنها يمكن أن تقع مؤتلفة مع المعنى. ومن ثم يتجه الحديث في الشعر إلى عناصره البسيطة (اللفظ – المعنى – الوزن – القافية) – ثم ينجه إلى المركبات (اللفظ والمعنى – اللفظ والوزن – المعنى والوزن – المعنى والقافية) فهذه ثماني وحدات: قسمة منطقية (أسعف فيها شيء من التساهل في أمر القافية) إلا أنها يجب أن تعتمد أساساً ثنائياً، لأن كلاً من العناصر البسيطة والمركبة قد يكون جيداً وقد يكون رديئاً، ولهذا كانت هذه الوحدات في حالتي الإيجاب والسلب ست عشرة. [٤]

(١)المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٥٨

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٢ ص ٦٣

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ج١ ص ١٥١

(٤) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ص ١٩١، دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٩٨٣م.

وكذلك د/ مندور يرى أن هذا التقسيم منطقي الشكل مصطنع لم يعالج فيه الأشياء كوحدة [١] وأيضًا د/ العزب يقول عن هذا التقسيم « نحس بشيء غير قليل من تماسك الرؤية النقدية لدى قدامة، وصدوره فيها عن وضوح فكري متلاحم الأنحاء» [٢]

فهي من أهم مظاهر الغناء والموسيقى لأنه واضحة الصلة بضربات المغنين وإيقاعات الراقصين. إنها بقية العزف القديم وإنها لتعيد للأذن تصفيق الأيدي وقرع الطبول ونقر الدفوف كما تعيد ذلك شاراتٌ أخرى للغناء نجدها في الشعر القديم منها هذا التصريع الذي نجده في مطالع القصائد[٣]، كقول امرئ القيس في مفتتح مطولته: [٤] من الطويل

قفا نَبكِ من ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ ∴ بسِقطِ اللّوَى بينَ الدَّخولِ فحَومَلِ

وابن الرومي كان يهتم بالقافية في شعره، فقد كان يطلب شواذها ولا يترك حرفًا شاردًا من حروفها؛ إلا ويؤلف عليه قصيدة أو قصائد مختلفة، وليس ذلك كل ما يلفتنا في صناعة قوافيه؛ إنما تلفتنا جوانب أخرى أشار إليها القدماء[٥]،

(١) ينظر: النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٧٠

(٢) قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ج٢ ص ١٠٠، مطبعة رفاعي سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف ص ٤٩ دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة، بدون

(٤) ديوان امرئ القيس ص ١١٠ ضبطه وصححه أ/ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٥) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف ص ٢١٥

يقول ابن رشيق: "كان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتدارًا" [١].

من هنا ندرك قيمة القافية مع ائتلاف عناصر الشعر ويعتبر عبدالله الطيب قدّم نقدًا وجيهًا ودقيقًا حيث كشف عن قصور واضح في التعامل مع القافية من قِبَل قدامة بن جعفر رغم جهوده التنظيرية، وهو قصور عالجه بأن أعاد للقافية مكانتها في بنية الشعر العربي كما هو واضح في نقده.

– وفي موضع أخر يعترض عبدالله الطيب في أن قدامة بن جعفر اقتبس بعض أفكاره من ابن قتيبة والمرزوقي ، خاصة في حديثه عن جمال الألفاظ وحلاوتها، واختيار الكلمات بما يناسب الوزن الشعري في قوله « وقد اتبع قدامة بن قتيبة حيث ذكر ما جاد لفظه وحلًا وما يختار لوزنه وفي الذي ذكره المرزوقي من التحام أجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن.. »[٢]، وهذا يعني من وجهة نظر عبدالله الطيب أن قدامة لم يكن مبتكرًا تمامًا في هذا الجانب، بل اعتمد على ما سبقه به ابن قتيبة والمرزوقي دون تقديم رؤية نقدية جديدة.

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني الأزدي ج١ ص ١٥٥.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ، ج٤ ص ١٩٩

المبحث الرابع: وقفات عبدالله الطيب لتطبيقات قدامة بن جعفر في تحليل النصوص الشعرية.

يركز هذا المبحث على الملاحظات الدقيقة التي قدمها عبدالله الطيب حول تطبيقات قدامة بن جعفر في تحليل النصوص الشعرية، وهو يعكس رغبة عبدالله الطيب في تقديم نقد أدبي أعمق وأكثر دقة في تحليل النصوص، وتجنب التحليلات التي تقتصر على تفصيلات قد تضعف الفهم الشامل للنص.

١- وقفة عبدالله الطيب لتفصيل قدامة بن جعفر في مقارنة النجار والخشب عند تقييم إحدى أبيات امرئ القيس.

حيث يقول تعقيبًا على بيتين لا مرئ القيس نقدهم قدامة بن جعفر« وقد رأى قدامة ألا يعيبه وأحسبه أصاب في الجملة إلا في التفصيل لأنه احتج بقصة الخشب والنجار أنه إذا كان حاذقًا لا يضيره أن يكون الخشب رديئًا ويعترض على هذا بأن رداءة الخشب قد تفسد جودة الصناعة أو تكون فيها موضعًا للعيب»[(١)]، وللرجوع إلى نص قدامة في كتابه في هذه النقطة يقول « لما وجدت قوماً يعيبون الشعر إذا سلك الشاعر فيه هذين المسلكين، فإني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله: [(٢)] من الطويل

فمِثْلُكِ حُبْلى قد طرَقْتُ ومُرْضِعٍ ∴ فَأَلهيْتُها عنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ

إذا ما بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ∴ بِشِقٍّ وتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

ويذكر أن هذا معنى فاحش، وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته» [(٣)]

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٤ ص ٤٦٦.

(٢) ديوان امرى القيس ص ١١٣

(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر ص ٢٠ وما بعدها

فهذان البيتان تم نقدهم حيث يقول المرزباني في كتابه المرشح(وعيب على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره كقوله في هذين البيتين، وقالوا: هذا معنى فاحش)، فقدامة يرد على هذا النقد ويدافع عن قول امرئ القيس بأن فحش المعنى لا يعتبر سببًا كافيًا لإزالة جودة الشعر أو انتقاص قيمته الفنية، ويشبه ذلك بحرفية النجار الذي يستطيع أن يصنع أثاثًا جيدًا حتى من الخشب رديء، بمعنى آخر يرى أن المهارة الشعرية قادرة على تجاوز أي عيب في مضمون البيت أو لفظه، عبدالله الطيب يرى أن رأي قدامة هذا فيه صحة من حيث العموم، لكنه ينتقد التفصيل الذي قدّمه قدامه بشأن المقارنة بالنجار والخشب .

فقوله(وقد رأى قدامة ألا يعيبه) فيه تسليم بأن قدامة يرى هذا البيت لا يُعد عيبًا شعريًا، كم أنه يعني أن قدامه بن جعفر يركز على الصياغة الفنية للبيت دون المضمون لأنه لم يعترض على مضمون البيت هو الكلام الفاحش الذى دل عليه معنى البيتين الذي لا يناسب الذوق العام أو مع تقاليد الشعر العربي من شاعر في مكانة امرئ القيس حيث ذكر " الحبلى والمرضع" حيث يصف بأنه أتى امرأة منشغلة بحملها أو برعاية طفلها، لكنه استطاع أن يجعلها تترك كل هذا الانشغال وتركز عليه، وخص الحبلى والمرضع؛ لأنهما أزهد النساء في الرجال وأقلهن شغفًا بهم وحرصًا عليهم، فقال: خدعت مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين مني؟[1] فهذا المضمون لم يعترض عليه قدامه، وهذا ما يفهم من قوله « وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه» أي كونه غير مستساغ أو قبيحًا في المضمون لا يعتبر سببًا في جودته أو ينقص قيمته

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ) ص ٤٤دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

الفنيـة وهـو بـذلك يـدافع عـن امـرئ القـيس فـي قولـه مـن الناحيـة الفنيـة دون المضمون.

وقوله(وأحسبه أصاب في الجملة إلا في التفصيل) فهذا اعتراف من عبد الله الطيب بصحة رؤية قدامة بن جعفر لقول امرئ القيس، من الناحية الفنية للشاعر التي يمكن أن تخفف من أي عيوب للمعنى المقصود في البيتين، وهذا ما أكده عبدالله الطيب في موضع آخر للبيتين بقوله« والبيتان جيدان وللفن حدود ينبغي أن يوقف عندها وكان امرؤ القيس لا يقف فمن أجل هذا ما عاقبته العرب عقابًا لم تعاقب به سيدًا من ساداتها، حتى لقد آل أمره إلى أن يكون ماله المعزي بعد الإبل، وإلي أن تتجهمه بنو شمجي بن جرم وإلي أن تلاحقه العرب بالتعيير بعد رحلته إلى قيصر فينسبوا إلى موته ما نسبوا من أمر الحلة المسمومة»[1]

ولكنـه ينتقد " التفصيل" أي المثال الذي استخدمه قدامة لتوضيح فكرته، وهو مقارنة الشعر بالنجار والخشب، وكأنه يشير إلى أن هذا المثال غير دقيق ولا يعكس تداخل العلاقة بين الصياغة الشعرية وجودة المعاني، لأنه من وجهة نظر عبدالله الطيب " احتج بقصة الخشب والنجار" وهو تشبيه يقصد به قدامه بن جعفر أن الشاعر الماهر يستطيع أن يصوغ شعرًا جيدًا حتى ولو كانت الأفكار أو الألفاظ ليست في أعلى درجات الجودة، وهو بهذا التشبيه يفضل المهارة الفنية" الصياغة" على المضمون.

وقولـه(ويعترض على هذا بأن رداءة الخشب قد تفسد جودة الصناعة) فهذه العبارة توحي باعتراض عبدالله الطيب لفكرة قدامة بن جعفر بأن المهارة الفنية مثل براعة النجار، " فرداءة الخشب" ترمز إلى ضعف المضمون، وقوله

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٣ ص ٣٦٧.

(أو تكون فيها موضعًا للعيب) توحي بأن القارئ أو المتلقي يرى العيب في المضمون حتى لو أعجب بالشكل الفني، فالعيب في المضمون لا يمكن إخفاءه.

خلاصة القول: قدامه بن جعفر يعتبر من أعمدة النقد الأدبي العربي القديم، ورؤيته تُمثل مرحلة مهمة في تطور الفكر النقدي خصوصًا في منهجه العقلي والمنطقي لتحليل الشعر، فهو ركز على الصياغة والبراعة الفنية لقول امرئ القيس دون المضمون، وهي فكره ذات قيمة لأنه أراد منها توضيح أن الشاعر باستطاعته تطويع أي فكرة وتحويلها إلى عمل شعري جميل، لكن عبدالله الطيب من وجهة نظره أن الشعر لا يقتصر على الصياغة فقط بدليل أنه لم يرفض رأي قدامة بن جعفر، بل جاء ليُكمل هذا النقاش مضيفًا عنصر التوازن بين الصياغة والمضمون، إذن كلاهما قدّم إضافة قيمة للنقد الأدبي.

لكن د/ يرى أن قياس قدامة إبداع الشعر بالتنفيذ المتبع في الفنون النفعية كالنجارة والصياغة ينبئ عن تصور للعمل الشعري يرى فيه ضربًا من المهارة في خَلْعِ صور جميلة على المعاني، أو تقديم المعاني تقديمًا فنيًا، ومثل هذا التصور يُسدل الستار على أشعار كان همُّ الشاعر فيها منصرفًا إلي تصوير حاجات النفس، وعلى أشعار مثّلت تأمّلات عقلية عالية، جسدت صلة الإنسان بالوجود والمطلق والمجهول. [١]

(١) ينظر: التفكير النقدي عند العرب (مدخل إلى نظرية الأدب العربي) د/ عيسى على العاكوب ص ٢٣٠، ٢٣١، دار الفكر المعاصر بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢- وقفة عبدالله الطيب لحكم قدامة بن جعفر على قصيدة عبيد بن الأبرص

حيث يقول « عاب قدامة بن جعفر قصيدة عبيد الأبرص من جهة الوزن، وذكر أن عبيدًا أسرف في تخليعها، وفي مداومة الزحاف، حتى لم يكد يسلم منه فيها بيت واحد واستشهد بقوله: [١] من مخلع البسيط

وَالمَرْءُ مَـا عَـاشَ فِي تَكْذِيبٍ ∴ طُـولُ الحَيَاةِ لَـهُ تَعْذِيبُ

وقال: "هذا معنى جيد، إلا أن وزنه قد شانه، وقبح حسنه، وأفسد جيده"[٢]

عبد الله الطيب كان له رأى آخر نحو هذه القصيدة ووزنها حيث يقول« ولو قد أحسن قدامة التأمل، لوجد أن شاعر هذه القصيدة أجراها على التقسيم والموازنة، مشربًا لها روح الوزن البسيط المخلع، وهو وزن لم يستقر في فؤاده، يدلك على ذلك توفيقه إليه»[٣] في نحو قوله: [٤]

وكُـلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَئُـوبُ ∴ وغَائِـبُ المَـوْتِ ولا يَئُوبُ

مَـنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ∴ وسـائِلُ اللهِ لا يَخِيـبُ

عبدالله الطيب في هذا السياق يرفض هذا النقد الموجة لعبيد بن الأبرص في هذه القصيدة لأن قدامة يرى في هذه القصيدة أن المعنى جيد، لكن الوزن أفسد جمال المعنى وهو بهذا يرى أن الشعر العربي يجب أن يكون متوازيًا بين المعنى والشكل، وأن الوزن يجب أن يكون متناسقًا مع المضمون ليحقق كامل جماله، وهذا ما يدعو الطيب إلى رفض الحكم القاسي على الوزن، لأن الشاعر أجراها على التقسيم والموازنة، وهو بذلك ينظر إلى الوضع الجوهري للشعر،

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٣، شرح/ أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص٦٨، تحقيق كمال مصطفى ص ١٨٢

(٣) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٣٨٣.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٢.

وبالتالي كلا النقدين، نقد قدامة ونقد عبد الله الطيب يحملان وجاهة في سياقهما، قدامة كان دقيقًا في تقييم الشكل، لكن في بعض الحالات قد يكون قاسيًا في حكمه على الشاعر إذا انحرف الوزن قليلاً، بينما عبدالله الطيب يقدم رؤية أوسع في فهم الشعر تأخذ في الاعتبار التعبير الشعري الكلي الذي قد يتجاوز القيود الشكلية في بعض الحالات.

وقد عدها قبل عبدالله الطيب ابن قتيبة من أجود شعر عبيد الأبرص، وإحدى المعلقات السبع [١] وفي الإطار العام عبيد الأبرص حظي بقدر كبير كشاعر جاهلي ذي موهبة مميزة وأسلوب فريد.

ثم يقول في موضع آخر للشاعر عروة بن الورد « وكذلك وقع عروة بن الورد في قريب مما وقع فيه عبيد، إذ حاول الوزن الكامل الأحذ، وهو وزن مشرقي لم يستقر في قلبه، فما كان منه إلا أن مزجه بالتقسيم، فجاء له منه هذا البيت الذي رواه قدامة[٢]، وهو قوله: [٣]

ونَكَحْتِ راعي ثَلَّةٍ يُثَمِّرُها ∴ والدَّهْرُ فائِتُهُ بما يُبْقِي

فعجز هذا جار على الكامل الأحذ، إلا أن صدره جار على الموازنة والتقسيم» [٤]

عبدالله الطيب – أيضًا– في هذا البيت ينتقد قدامة بن جعفر لعروة بن الورد، حيث يوضح أن عروة بن الورد لم يلتزم تمامًا بوزن " الكامل" كما هو

(١) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ج١ ص ٢٦٠ ، دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ

(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٨٢

(٣) شعر عروة بن الورد العبسي ص ١٢٦، صنعة أبي يعقوب بن إسحاق السكيت ، تحقيق د/ محمد فؤاد نعناع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٤) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج٢ ص ٣٨٣.

متوقع، لكنه عمد إلى مزجه بالتقسيم والموازنة، وهو ما يعتبره الطيب إبداعًا أكثر مما هو عيب، والتقسيم الذي قصده عبدالله الطيب الإيقاع الصوتي والجرس الموسيقي ، حيث يرى أن الشاعر لجأ إلى توزيع الكلمات والمقاطع بطريقة توازن الإيقاع، مما جعل هذا البيت مقبولًا موسيقيًا من وجهة نظر عبدالله الطيب رغم عدم التزامه التام بوزن الكامل.

٣- وقفة عبدالله الطيب لمبالغة قدامة في مدح استخدام " الفاء" في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي.

يتعجب عبدالله الطيب ممن يغالون في مدح قصيدة أبي ذويب الهذلي حتى إن بعضهم ليسميها "سمفونية أبي ذؤيب"، وربما يسميها بعضهم "سوناتة" أبي ذؤيب إعجابًا بها، وقدامة فعل ذلك « في كتابه نقد الشعر. وزعم أن الأبيات متتابعة في النسق الذي أورده، وأشاد ببراعة الشاعر في استعمال الفاء، هكذا من غير ما تكلف. وقد نظرت في القصيدة كما هي في المفضليات، فلم أجد الفاءات تتابع في نسق واحد إلا في أبيات ثلاثة »[١] وهي قوله: [٢] من الكامل

فَشَرَعْنَ في حَجَرَات عَذْبٍ بارِدٍ ∴ حَصِبِ البِطاحِ تَغِيبُ فيه الأَكْرُعُ

فَشَرِبْنَ ثـمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ ∴ شَرَفُ الحِجابِ ورَيْبَ قَرْعٍ يُقْرَعُ

وهي أبيات حسنة اللفظ جيدة الموسيقا إلا أنها خارجة عن روح القصيدة وأثر التقليد الأعمى واضح فيها، ولو قد صحت لقائل دعواه من توالي الفاءات في أبيات أكثر مما عددنا، لكانت حجتنا عليه بأن كلام الشاعر خارج عن روح

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج١ ص ٣٤٨.

(٢) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ص ٥٢، تحقيق وتخريج د/ أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

الحزن الذي بدأ به الشاعر ومن أجله نظم ولم يزل في أثناء القصيدة يذكر السامع أنه محتفظ به، حجة قوية» [١].

وفي موضع آخر يقول عبدالله الطيب أن قول ابن رشيق عن هذه القصيدة نقله من قدامة بن جعفر، وهو قوله« فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرد له، ولم ينحل عقده، ولا اختل بناؤه، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لما تمكن له هذا التمكن». حيث أكد أن رواية القصيدة في المفضليات ليست فاءاتها مطردة في هذا النسق[٢].

في هذه النقطة يتطرق عبدالله الطيب إلى تقييم قدامة للقصيدة ويعترض على رؤية قدامة التي ركزت على براعة الشاعر في استعمال الفاء، بينما عبدالله الطيب يرى خلاف ذلك من خلال قراءته للقصيدة في المفضليات حيث يرى أن حرف الفاء لم يأت إلا في ثلاثة أبيات، من هنا يمكن القول أن عبدالله الطيب يطرح مقاربة حديثة للنقد، حيث يعطي أهمية كبرى للجانب الفني والجمالي في الشعر، بينما قدامة يتبنى نقدًا أقرب إلى التحليل البلاغي أو الوظيفة اللغوية، وفي النهاية سواء نقد عبدالله الطيب أو قدامة بن جعفر، كلاهما يعكس منهجًا نقديًا يظهر اهتماماتهم في نقد الشعر، وهذا التحليل للفاء في قصيدة أبي ذويب عند قدامة في كتابة « نقد الشعر» ليس نصًا صريحًا،، ويبدو أنها ملاحظة نقدية من الطيب استخلصها من قراءته لقدامة.

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب ج١ ص ٣٤٨، وما بعدها.

(٢) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب ، ج٢ ص ١٨٣، وينظر: العمدة لابن رشيق ج١ ص١٣٠

✍ الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علي سيد الخلق، وإمام المرسلين، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ... وبعد:

فقد يسر الله – عز وجل – إتمام هذه الدراسة المعنونة بـ : [وقفات عبدالله الطيب النقدية في كتابه «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» مع قدامة بن جعفر عرضًا وتحليلًا وتعقيبًا] وقد أسفرت هذه الدراسة بفضل الله – تعالي – عن النتائج الآتية:

أولاً: أن قدامة بن جعفر وعبدالله الطيب يمثلان مدرستين مكتملتين تجمعان بين التحليل المنهجي والإبداع الفني، مما يعكس التنوع والثراء في النقد العربي ، حيث أكمل كل منهما الآخر في بعض القضايا لتقديم رؤى نقدية تجمع بين العقل والإبداع، قدم عبدالله الطيب رؤية نقدية متعمقة تجسد فهمًا أصيلًا للشعر العربي معتمدًا على الذوق الأدبي والبصيرة النقدية المتوازنة، وانتقاداته لقدامة تعكس رفضه للجمود العقلي في دراسة النصوص ، وتأكيده على الإبداع في إبراز جماليات الشعر من خلال بعض القضايا التي تناولها ....

ثانيًا: أثبتت الدراسة وقفات عبدالله الطيب لبعض المفاهيم النقدية لقدامة بن جعفر مثل خلطه للغريب والحوشي، ومفهوم الخلق والإبداع في الشعر، وتقصيره تجاه أبي تمام، ورؤيته حول التناقض في الشعر، وعمود الشعر... ،مجمل الأمر للمفاهيم التي قدمها قدامة بن جعفر من وجهة نظر عبدالله الطيب فيها قصور ولا تتناسب مع التطورات النقدية الأدبية الحديثة، مما يستدعي إعادة النظر فيها لتوسيعها.

ثالثًا: توصلت الدراسة إلى أن عبدالله الطيب قدم تقييمًا لأفكار قدامة بن جعفر في مجال البلاغة والأساليب الفنية، في وقفته حول التشبيه وتصنيفه له كغرض شعري مستقل، مؤكدًا أنه أداة بلاغية متعددة الأغراض تخدم جوانب

مختلفة من الشعر، وفيما يتعلق بالوصف الشعري أشار الطيب إلى أن قدامة تعامل معه بمنهج يفتقر إلى البعد الجمالي والإبداعي، داعيًا إلى أهمية الخيال في التعبير الشعري، أما التكافؤ فقد انتقد الطيب تعريف قدامة له...، بذلك أظهرت وقفات الطيب من وجهة نظره أن منهج قدامة يفتقر إلى الاهتمام بالجوانب الفنية، داعيًا إلى ضرورة قراءة النصوص ضمن سياقاتها الفنية .

رابعًا: توصلت الدراسة إلى أن عبدالله الطيب قدم نقدًا حادًا لأفكار قدامة بن جعفر بشأن الجوانب الأسلوبية والموسيقية في الشعر، في وقفته حول التوشيح وحصره في التكرار النغمي فقط، مشيرًا إلى أن التوشيح يتجاوز ذلك ليشمل تناغمًا موسيقيًا ومعنويًا يعزز جمالية الشعر، أما في وقفته حول القافية، فقد أشار الطيب إلى أن قدامة أغفل أهمية القافية في تحقيق انسجام الشعر، وخلق توازن موسيقي بين عناصره، مما أدى إلى تجاهل دورها الفاعل في بناء النص الشعري...، بذلك أكدت وقفات الطيب على ضرورة الاهتمام بالجوانب الموسيقية في الشعر مثل التوشيح والقافية، باعتبارها عناصر أساسية تساهم في تنسيق وترتيب عناصر النص الشعري من الناحية الجمالية والفنية.

خامسًا: توصلت الدراسة إلى أن عبدالله الطيب قدم نقدًا لتطبيقات قدامة بن جعفر في تحليل النصوص الشعرية، مشيرًا إلى بعض المبالغات والأخطاء في منهجيته، في وقفته حول مقارنة النجار بالخشب عند تقييم بيت من شعر امرئ القيس، حيث انتقد التركيز المبالغ فيه على التفاصيل الحسية التي لم تضف شيئًا في فهم النص الشعري، وفي وقفته بشأن حكم قدامة على قصيدة عبيد بن الأبرص حيث ركز على الجوانب الشكلية وأغفل المعاني العميقة، أما في مدح الفاء في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي، فقد اعتبر الطيب أن قدامة بالغ في تقدير أهمية استخدامها، مشيرًا إلى أن التركيز على الأسلوب النحوي قد أضعف القيمة الفنية والتعبيرية للنص... بذلك أكد الطيب أن التحليل الشعري يجب أن

يوازن بين التركيز على المعاني والجمال الفني دون الانشغال بالتفاصيل التي تقلل من قيمة النصوص الشعرية.

سادسًا: أكدت الدراسة على تكامل جهود عبدالله الطيب وقدامة بن جعفر في النقد العربي، حيث جمع الأول بين الجمالية والمرونة، وأسهم الثاني بمنهجية عقلانية دقيقة.

التوصيات:

- الاستفادة من كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها لعبد الله الطيب كمرجع نقدي يبرز أسس النقد القديم، مع أهمية دراسته في ضوء المناهج النقدية الحديثة لتعزيز فهم النصوص الشعرية وتراثها البلاغي والفني.

✍قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

[١] المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب ج١ ص ١٣، دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م

[٢] نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ص ٧، تحقيق كمال مصطفي، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ثانيًا: المراجع:

[١] الأسلوب أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

[٢] البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

[٣] تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، مجموعة من المحققين، دار الهداية بدون.

[٤] تاريخ آداب العرب/ مصطفى صادق الرَّافعي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان– الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٥] تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

[٦] تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٩٨٣م.

[٧] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لأبي الإصبع العدواني، البغدادي ،تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد

شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي بدون

[٨] التعريفات للجرجاني ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

[٩] التفكير النقدي عند العرب (مدخل إلى نظرية الأدب العربي) د/ عيسى على العاكوب ، دار الفكر المعاصر بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

[١٠] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

[١١] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق / محمد عبده عزام، دار المعارف الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧م.

[١٢] ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق وتخريج د/ أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

[١٣] ديوان البحتري ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧م

[١٤] ديوان الرَّاعي النميري ، شرح د/ واضح الصمد، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

[١٥] ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

[١٦] ديوان الطرماح ، عني بتحقيقه د/ عزة حسن ، دار الشرق العربي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[١٧]ديوان المُسيب بن عَلَسْ ، جمع وتحقيق ودراسة د/ عبدالرحمن محمد الوصيفى ، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
[١٨]ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه أ/ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
[١٩]ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، طبعة ثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
[٢٠]ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان جدة بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٢ م – ١٣٩٢هـ
[٢١]ديوان أصداء النيل، عبدالله الطيب ، دار بيروت لبنان، الطبعة الثالثة بدون
[٢٢]ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح/ أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
[٢٣]ديوان من دواوين عباس محمود عباس العقاد ، مؤسسسة هنداوي للتعليم والثقافة سنة ٢٠١٣م.
[٢٤]ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري ، مؤسسة الأعلمي،بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
[٢٥]شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ) دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م
[٢٦]شعر عروة بن الورد العبسي ، صنعة أبي يعقوب بن إسحاق السكيت ، تحقيق د/ محمد فؤاد نعناع، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
[٢٧]الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) ، دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ

[٢٨] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم نشوان بن سعيد الحميرى إليمني ، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

[٢٩] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

[٣٠] الصناعتين، لأبي هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، عام ١٤١٩ هـ.

[٣١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه لا بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

[٣٢] الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة، بدون

[٣٣] الفهرست لابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

[٣٤] قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/ بدوي طبانه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

[٣٥] قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م بدون ذكر المطبعة.

[٣٦] قضايا نقد الشعر في التراث العربي د/ محمد أحمد العزب ، مطبعة رفاعي سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

[٣٧] لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ

[٣٨]مختار الصحاح، للرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

[٣٩]مع عبدالله الطيب ، لعبد الله الطيب ، دار الأصالة، السودان الخرطوم، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٤م

[٤٠]معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي ،تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م

[٤١]المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث» د. رجب عبد الجواد إبراهيم ، تقديم: أ. د/ محمود فهمي حجازي ، راجع المادة المغربية: أ. د/ عبد الهادي التازي (عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة)، دار الآفاق العربية، القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

[٤٢]معجم شخصيات سودانية معاصرة، أحمد محمد شاموق ، بيت الثقافة للترجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم سنة ١٩٨٨م.

[٤٣] معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة أحمد رضا ج٣ ص ٢٢١ دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م

[٤٤]معجم مقاييس اللغة للرازي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[٤٥]المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني– البيان – البديع) تأليف د/ عيسى علي العَاكوب، منشورات جامعة حلب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

[٤٦]الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف – دار المعارف – الطبعة الرابعة، ١٩٩٢ م

[٤٧] النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص ٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٧م.

[٤٨] النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة د/ محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٦م.

[٤٩] الوافي بالوفيات، للصفدي ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

والمواقع:

١- مقال بعنوان: السوداني عبدالله الطيب ..مسيرة بين العلم والتدريس والمؤلفات. لأحمد منصور بتاريخ ١٩ يوليو ٢٠٢٣م في إليوم السابع

٢- عبدالله الطيب شاعر سوداني. ويكيبيديا

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٦٧٧
٢-	Abstract	٦٧٨
٣-	مقدمة	٦٧٩
٤-	✍ تمهيد: عرض مختصر للشخصيات المحورية وكتبهم محل الدراسة	٦٨٣
٥-	أ . الشق الأول:. قدامة بن جعفر وكتابه« نقد الشعر »	٦٨٣
٦-	ب . الشق الثاني: عبدالله الطيب وكتابه« المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها».	٦٨٥
٧-	المبحث الأول: وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم النقدية عند قدامة بن جعفر	٦٨٨
٨-	المبحث الثاني: وقفات عبدالله الطيب للمفاهيم البلاغية والأساليب الفنية عند قدامة بن جعفر	٧٠٧
٩-	المبحث الثالث: وقفات عبدالله الطيب للجوانب الأسلوبية والموسيقية عند قدامة بن جعفر	٧٢١
١٠-	المبحث الرابع: وقفات عبدالله الطيب لتطبيقات قدامة بن جعفر في تحليل النصوص الشعرية.	٧٣١
١١-	الخاتمة	٧٣٩
١١-	قائمة المصادر والمراجع	٧٤٢
١٢-	فهرس الموضوعات	٧٤٨